

ركتور السيدامين حلي

قراءة جديدة للحرب الباردة



156978



Bibliotheca Alexandrina



دار المعارف

دكتور السيد أمين شلبي

قراءة جديدة للحرب الباردة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

تقيم

بانقضاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازية ، انقضى معها ما أطلق عليه « التحالف الغريب » ، أو « التحالف المفروض » الذى ضمّ الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وفرضه الخطر المشترك للنازية ، وتوارت معه التناقضات وعناصر التنافس الكامنة بينهما كنظامين اجتماعيين مختلفين . وقد عادت هذه التناقضات إلى الظهور بل وازدادت حدة بانتهاء الحرب وبرز الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كأكبر قوتين عالميتين ، وتعددت بذلك عناصر ومناطق التنافس والصراع بينهما على النفوذ والمكانة فى العالم . وقد دفع هذا الواقع كلاً من القوتين أن تجعل من تتبع وتقييم سياسات ومواقف الأخرى مهماً الأول . فقد احتلت العلاقة مع الولايات المتحدة قمة الأولويات فى السياسة السوفيتية ، وأصبح القادة السوفيت ينظرون إلى العالم الخارجى فى ضوء القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة ، واعتبارها القوة الوحيدة فى العالم التى تمتلك قوة اقتصادية وعسكرية وتكنولوجية أكبر من الاتحاد السوفيتى ، كما باتت السياسة السوفيتية تعتقد أنه إذا كان ثمة عائق للتغيير والتقدم ، أو أى مستفيد من قيام نظام رجعى فهى الولايات المتحدة ، وبنفس القدر فهى القوة الدولية التى تمثل أى تهديد جاد ومحمّل للنظام السوفيتى . أما على الجانب الأمريكى ، فقد سيطرت تصورات القوة والأطماع والنوايا السوفيتية على تفكير السياسة الأمريكية ، وظلّ الحكم على القوة الأمريكية يقاس بمعاييرها ، وبفعل ذلك أقامت الولايات المتحدة وبررت ما رسمته من

سياسات « لاحتواء » هذه النوايا السوفيتية ، وهي السياسات التي تمثلت في سلسلة من الأحلاف والمشاريع العسكرية والاقتصادية ..

وقد ظلت هذه الظاهرة تسود الواقع الدولي ، وتتسلل إلى كل المشكلات العالمية الصغيرة والكبيرة ، في أوروبا ، غربها وشرقها ، والشرق الأوسط والصين وبقية آسيا وأفريقيا ، وشكلت على مدى ربع قرن ما أصبح يعرف بالحرب الباردة . والتي تمثل فيها التحدى الرئيسى للاستقرار والسلام الدولى لجيل بأكمله .

في خلال ذلك اصطدمت القوتان حول سلسلة من المشاكل والأزمات : ابتداءً من الخلاف حول تفسير وتطبيق اتفاقيات تقرير الأوضاع في وسط وشرق أوروبا وخاصة في بولندا ، وحول التحركات والمطالب السوفيتية في إيران وتركيا . والثورة الشيوعية في اليونان ، ثم حول مدينة برلين وأوضاعها ومستقبلها ، وحول كوريا ، والشرق الأوسط ، وبلغت هذه الأزمات والمواجهات قمتها في منطقة الكاريبي وبما عرف بأزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦١ .

على أن أهم الظواهر الملفتة والتي ارتبطت بهذه الأزمات ، هي أن قادة البلدين برغم ما أبدوه من تصميم في المواقف ، فقد حرصوا على أن لاتصل هذه الأزمات بهم إلى حدّ المواجهة الساخنة : فعلى المستوى الأمريكى ، فإن مايمحمد للرئيس ترومان - برغم ما كان يحمله من شكوك عميقة وعداء للسوفيت - فإنه قد حال دون أن تتحول الحرب الكورية إلى حرب ذرية . وأقال الجنرال ماك آرثر الذى كان ينادى باستخدام الأسلحة الذرية ، كذلك كان الحال مع الرئيس أيزنهاور في مواجهته لأزمات برلين ، والشرق الأوسط التي عاصرها ، أما على المستوى السوفيتى فإن خروشوف برغم ضجيجته وتصريحاته المنثرة كان يتراجع في النهاية ، كما فعل في أزمات برلين التي أثارها . هذا فضلاً عن أزمة الصواريخ الكوبية التي أدارتها

القوتان بأسلوب أتاح لكلٍ منهما ثغرات للآخر لكي يتصرف بشكل يحفظ له كرامته . وتتيح له برغم التصميم الظاهر مسلكاً للتراجع وعدم دفعه إلى موقف يائس . وهو الأسلوب المتبادل الذي جعل من الممكن . ومن خلال التنازلات المتبادلة والحلول الوسط . التوصل إلى اتفاق لإزالة التوتر وتطبيع الموقف . وهكذا كانت أزمة الصواريخ الكوبية علامة حاسمة في مجرى الحرب الباردة . بل وحدثاً فاصلاً في علاقات القوتين . وقد كانت كذلك لامن حيث إنها جسدت أمامها فحسب معنى الحرب في عصر ذرى . وكانت الأزمة التي كادت أن تتحول فيها الحرب الباردة إلى حرب ساخنة . بل وكذلك بما أتاحه هذا الإدراك من خطوات حاولا بها تقنين وضبط علاقاتهما الدولية . وتصميم إطار جديد يتفق مع تطورات قوامها الاستراتيجية وتطورات البيئة الدولية من حولهم .

ولكن لماذا نعيد اليوم قراءة الحرب الباردة بالمناخ الذي أثارته والأزمات التي نشأت خلالها . والأساليب التي استخدمت في حلها ؟ قد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الفترة قد انطوت وتجاوزتها الأحداث وخاصة في المسرح الأوربي . والذي كان يمثل بؤرة الحرب الباردة . وبعد أن تقرر توضع سلسلة الاتفاقيات التي تمت حوله (اتفاقيات موسكو وبون . واتفاقيات بون ودول شرق أوروبا . ثم باتفاقيات هلسنكي حول الأمن والتعاون الأوربي) وهي الاتفاقيات التي رتبت نوعاً من التعايش الاقتصادي والسياسي والأمني بين أجزاء القارة . غير أن تفحص التطورات التي تمر بها اليوم علاقات الشرق والغرب بوجه عام . وعلاقات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على وجه أخص . تشير إلى أنها تعيش في مناخ مشابه لمناخ وإطار علاقات الحرب الباردة من حيث تشابه تصور كل قوة عن نوايا الأخرى . وتعمق عنصر الشك وعدم الثقة . وغلبة عناصر المنافسة والصراع على عناصر التعاون

والتعايش . ثم من حيث السياسات التي ترتبت على ذلك على المستويات العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية .

فعلى الرغم من خطوات التفاهم والرغبة في احتواء مصادر التوتر . وهى الخطوات التى بدأت مع توقيع معاهدة الحظر الجزئى للتجارب الذرية عام ١٩٦٣ . ومعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٦٨ . ثم البدء فى محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية عام ١٩٦٩ . يضاف إلى هذا ما شرعت فيه القوتان من بناء علاقات أكثر تعاونية فى كافة مجالات علاقاتهما الثنائية والدولية خلال سلسلة مؤتمرات القمة مابين عام ١٩٧٢ - ١٩٧٤ ، وصدر عنها عدد كبير من الاتفاقيات والتعاقدات ومبادئ السلوك . برغم هذا التطور الإيجابي الذى جرى على أساس من «التفاوض بدلاً من المواجهة» ، وبقصد بناء «صرح جديد للسلام» ، إلا أن هذه الخطوات بدأت تتكس ، بدأ هذا على وجه التحديد منذ اشتعال حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط عام ١٩٧٣ ، والتى برغم عنصر التعاون الذى تحقق خلالها وهياً لوقف إطلاق النار وصدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ، إلا أن تقييم الولايات المتحدة لسلوك السوفيت خلال الحرب قد دعم الشكوك الكامنة . وقوى من التيار القائل بأن السوفيت يستخدمون علاقات الوفاق لدعم غاياتهم النهائية غير ملتزمين فى هذا بقواعد الوفاق ومبادئه ، بل إنه فى خلال الأزمة شهدت علاقات القوتين شبيهاً لمواقف المواجهة القديمة ، حيث أعلنت الولايات المتحدة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ حالة التأهب كرد على تحركات عسكرية سوفيتية . وتلت هذا نكسة أخرى لعلاقات الانفراج تمثلت فى إلغاء الاتحاد السوفيتى لاتفاقية التجارة مع الولايات المتحدة . والتى كانت تعتبر من أبرز نتائج لقاء القمة الأول عام ١٩٧٢ واعتبرت أنها تمثل الأساس المادى لتطور علاقات الوفاق ، وقد أقدم

الاتحاد السوفيتي على هذا الإجراء لما اعتبره ربط الولايات المتحدة هذه الاتفاقية بشروط سياسية تمسّ أوضاعاً وتشريعات داخلية فيه .

أما التدهور الحاد الآخر لعلاقات الوفاق الجديدة ، فقد حدث على أثر التدخل السوفيتي والكوبي في أنجولا عام ١٩٧٥ ، ويكاد هذا الحدث يشبه في تأثيره على الفكر الاستراتيجي الأمريكي ما أحدثته الحرب الكورية من حيث تأكيدها لنوايا التوسع السوفيتي ، فقد أخذ التدخل العسكري السوفيتي في أنجولا على أنه ، من الزاوية الاستراتيجية ، انتقال الاتحاد السوفيتي إلى مرحلته الإمبريالية الحقيقية وتأكيد له قدراته على التحرك والتواجد في مناطق نائية ، كما اعتُبر سياسياً أن الاتحاد السوفيتي يضحى بعلاقات الوفاق ومبادئه أمام أي فرصة تلوح له لبسط نفوذه الدولي . ومنذ التطورات في أنجولا ، والتي واصلها الاتحاد السوفيتي وأكدها بتثبيت وجوده في أثيوبيا ، بدأ اتجاه التراجع المتواصل للوفاق في كافة صوره ، وكان أكثرها دلالة تعثّر الوصول إلى اتفاق ثان حول الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية ، وهو ما كان يسعى إليه البلدان منذ توقيع الاتفاقية الأولى عام ١٩٧٢ ، وبرغم الخطوط التوجيهية التي توصل إليها الطرفان في اجتماع فلاديفوستوك عام ١٩٧٤ ، فإن التوصل إلى اتفاق نهائي ظلّ يتعثّر حتى وقع في يونيو عام ١٩٧٩ .

غير أن التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان - جاء لا لكي يقضى على هذا الاتفاق فحسب - وإنما لكي يقدم زاداً جديداً وبعيد الأثر في تأكيد عناصر الصراع بين القوتين ، وتأكيد الشكوك وعدم الثقة لدى الولايات المتحدة في النوايا السوفيتية ، وأخذ هذا الحدث في الولايات المتحدة على أنه جزء من Grand Design يستهدف به الاتحاد السوفيتي السيطرة على منابع البترول وطرق

مواصلاته في منطقة الخليج ، متحكماً بذلك في عصب الحضارة الغربية بل في وجودها .

وقد دفع هذا التطور إدارة الرئيس كارتر إلى سلسلة من الإجراءات الشاملة لمواجهة ، فقد طلبت من الكونجرس وقف التصديق على اتفاقية سولت الثانية ، والتي كانت تواجه بالفعل معارضة شديدة في الكونجرس منذ التوقيع عليها ، واقتصادياً أوقفت مبيعات القمح إلى الاتحاد السوفيتي - مذكرة بذلك بإجراءات إدارة الرئيس ترومان الاقتصادية كرد على تصرفات السوفيت في بولندا ودول شرق أوروبا بعد الحرب الثانية ، كما اتجهت إدارة كارتر إلى إحياء مفهوم سياسة الاحتواء بالإعلان عن إنشاء قوة التحرك السريع لردع النوايا السوفيتية في منطقة الخليج والشرق الأوسط ، كما طالبت حلفاءها الغربيين بتطبيق إجراءات اقتصادية مماثلة ضد السوفيت ، وترعمت حملة مقاطعة دورة الألعاب الأولمبية في موسكو . وقد تأثر المسرح الأوربي - وخاصة في الناحية العسكرية بمناخ التوتر في علاقات الشرق والغرب ، فرداً على بناء الاتحاد السوفيتي لشبكة الصواريخ ss20 الموجهة إلى أوروبا جاء قرار حلف الأطلسي بتزويد دوله بصواريخ كروز وبيرشينج مع ما يحمله هذا التطور من مضمون خطير ، وهو أن إمكانية الحرب النووية المحدودة أصبحت قائمة .

أما الإدارة التي خلفت إدارة كارتر في الولايات المتحدة فقد جعلت من مراجعة ما اعتبرته تدهوراً في النفوذ والمكانة الأمريكية مقابل ترايد القوة العسكرية السوفيتية ومناطق النفوذ ، همها الأول ، وانهت في هذا الإدارة السابقة بالضعف والتردد في مواجهة هذا الخطر ، واعتبرت أن الإجراءات التي اتخذتها غير كافية ، وعلى هذا شرعت في سياسات تعتمد على التحدث مع السوفيت من « موقع » اتوة »

عسكرياً وسياسياً ، وهو ما فسّر في الاتحاد السوفيتي على أن الإدارة الجديدة تهدف إلى تحقيق تفوّق عسكري واستراتيجي ، وإلى قلب موازين القوة ونقض المبدأين اللذين يجب أن يحكما علاقات القوتين ، وهما التعادل Parity في القوى الاستراتيجية والأمن المتساوي Equal Security وهكذا كان هذا التطور بشيراً بتصاعد سباق التسلح وضعف الأمل في تقدم محادثات الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية .

كذلك أصبحت سياسة مواجهة السوفيت عالمياً المركز الذي تدور حوله سياسة الإدارة الجديدة . وبالتالي أصبحت ترى مناطق التوتر والأزمات العالمية على أنها مسرح لهذه المواجهة التي يجب أن تأخذ الأولوية ، أو على الأقل أن حلّها يجب أن يتم في هذا الإطار .

أما على الجانب السوفيتي فقد وجهت هذه السياسة على مستويين : مستوى إعلامي يركز على اتهام الولايات المتحدة بتبني سياسات إمبريالية وتصعيد التوتر ، ورسم مخططات لحصار الاتحاد السوفيتي وأن الاتحاد السوفيتي مصمم على مواجهة هذه المخططات وهزيمتها ، ومستوى آخر وجهه في نطاق ماعرف في تاريخ الدبلوماسية السوفيتية بمبادرات أو « حملات السلام » Peace offensive حيث تقدم باقتراحات حول مختلف المشكلات العالمية من التراع العربي الإسرائيلي ، إلى الخليج ، إلى الشرق الأقصى ، وتعزيز إجراءات الأمن الأوربي ، وتوج هذه المقترحات بالدعوة إلى لقاء قمة بين الرئيسين الأمريكي والسوفيتي .

وأياً كانت دوافع هذه المبادرات ، فإن المهم أنها أخذت في الولايات المتحدة على أنها ذات أهداف إعلامية ، وأنها ترمي إلى إحداث انقسام بين الولايات المتحدة وحلفائها ، وأن الولايات المتحدة لن تنظر في هذه المقترحات - وخاصة

لقاء القمة - إلا بعد أن تعيد ترتيب مواقعها سواء فيما يتعلق بزيادة قدراتها العسكرية ، أو دعم أصدقائها وحلفائها في مناطق الفراغ الاستراتيجي القائمة ، وتنظيم علاقاتهم وروابطهم العسكرية مع الولايات المتحدة ، وكذا دعم التحالف الأطلنطي وإقامته على أسس أكثر استقراراً .

وتعكس هذه المقترحات السوفيتية وردود الفعل الأمريكية إزاءها - والتي تكاد تتطابق مع مواقف مماثلة ستقابلها خلال متابعتنا لأحداث الحرب الباردة - تعكس عمق الشكوك وعدم الثقة المتبادلة ، واختلاط نوايا وتصورات القوتين تجاه بعضهما ، بل وصعوبة الفصل بين ماهو متصور وماهو حقيقى فيها ، كما يعكس السياسات القائمة على التركيز على الصيغ العسكرية وتبدو في تصاعد سباق التسلح ، وإحياء سياسات الأحلاف والقواعد العسكرية ، ثم استخدام السياسات الاقتصادية كسلاح في توجيه الأحداث الدولية . وجميع هذه المواقف تكاد تتطابق مع المفاهيم والسياسات التي ميزت علاقات القوتين خلال فترة الحرب الباردة ، ومن المفارقات أن بولندا - التي كانت مفتاح الحربين العالميتين الأولى والثانية - وكان الخلاف حول مستقبل الأوضاع فيها هو الأساس الذي تطورت منه الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، تمثل اليوم ، نتيجة التطورات الداخلية فيها ، التحدى الرئيسى لمستقبل علاقات القوتين ، وتهدد بنقض ما أمكن تحقيقه من عناصر الاستقرار في المسرح الأوربي .

في مثل هذا المناخ القائم يحق لنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن أن تستمر حالة علاقات القوتين اللتين تملكان في النهاية مصير الجنس البشرى على مثل هذا الوضع من التوتر وإمكانية المواجهة ، أم أن قادة القوتين وبعد فترة قصيرة أو طويلة من اختبار سياسات القوة والصراع ، سوف يتوصلون إلى ماتوصل إليه أسلافهم

قال خروشوف خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٩ : إننا « مرهقون ومرضى من المشكلات التي تقسمنا » وكما أسراراً أيزنهاور لأحد مستشاريه أنه « تعب من توجيه الاتهامات إلى الاتحاد السوفيتي » ، وأبلغ من هذا ما انتهى إليه الرئيس الأمريكي جون كيندي - بعد أن خاض تجربة أزمة الصواريخ الكوبية - من أنه من الواضح « أن كلاً منا يقع أسيراً للدائرة مفرغة وخطيرة يفرخ فيها الشك على جانب شكاً على الجانب الآخر ، وتجلب الأسلحة الجديدة أسلحة مضادة ولهذا فإنه في العصر النووي يصبح السلام هو الغاية الضرورية والفعالية للرجال العقلاء » . وقد فتحت هذه العبارات آنذاك بالفعل الطريق أمام القوتين للشروع في خطوات نحو التفاهم وإدخال عناصر الاستقرار في علاقاتهما .

أبريل ١٩٨١

د . السيد أمين شلي

الفصل الأول

الحرب الباردة وأصولها

تمهيد

ليس ثمة تاريخ قاطع لتحديد بداية الحرب الباردة بين « الغرب » بزعامة الولايات المتحدة « والشرق » بزعامة الاتحاد السوفيتي . يحددها بعض المؤرخين بعام ١٩١٧ عام قيام الثورة البولشفية التي أنشأت نظاماً اجتماعياً مناقضاً للنظام الاجتماعي للولايات المتحدة ، والذي سيتبلور في النهاية كأساس للصراع بين القوتين ، ويراها البعض الآخر قد بدأت والتحالف بين القوتين مازال قائماً ضد النازية حين بدءا يختلفان حول ترتيبات ما بعد الحرب ، وبشكل أخص حول أوضاع شرق ووسط أوروبا ، ثم تبلورت بعد انتهاء الحرب وازدادت حدة حين اتضح اختلاف نوايا ومصالح القوتين وتشعبت مناطق تصادمها ^(١) .

ورأوا ذلك لافي مجرد الحيشات التي صدرت عن الثورة حول الحرب الأيديولوجية ضد الغرب ، وإنما كذلك في الغزو الغربي الذي اشتركت فيه الولايات المتحدة ، والحصار العالمي الذي تعرض له النظام الجديد بعد ذلك * . على أن

(١) Schlesinger, Arther, "The origins of the cold war", waltnam, Massachusettts, london, 1970, pp. 43-44.

• بينما يؤكد التاريخ السوفيتي لهذه المرحلة اشتراك الولايات المتحدة مع بقية الأقطار الغربية فيما عرف بحروب التدخل ضد الثورة ولقلب . النظام الجديد ، فإن ثمة اختلافاً في الفكر الأمريكي حول الأهداف الأمريكية من هذا الاشتراك ، فيقول جورج كينان إن القوات الأمريكية قد أرسلت فقط إلى منطقتين في روسيا هما الشمال الأوربي وشرق سيبيريا ، وأن كلتا المنطقتين كانتا بعيدتين عن المسرح الرئيسي للحرب الأهلية الروسية التي كانت تجري . وفي كلتا الحالتين لم يكن إرسال هذه القوات مدفوعاً بإمكان استعمالها لخلق الحكومة السوفيتية ، وإنما جاء مدفوعاً في كلتا الحالتين ارتباطاً بالحرب العالمية التي كانت تجري ، ويهدف رئيسي يتعلق بهذه الحرب ..

معظم دارسى الحرب الباردة يجدون أصولها فى أحداث الحرب العالمية الثانية .. فإذا كانت الحرب العالمية الأولى إلى حد ما سبب الحرب الثانية ، فإن الحرب الباردة كانت نتاجا مباشرا للحرب الثانية ، وإن التقاء القوات الروسية والأمريكية على طول جبال الألب فى وسط أوروبا فى ٢٥ إبريل عام ١٩٤٥ قد مثل حدثا بارزا فى التاريخ المعاصر ، وفى هذا الحدث لم تكن القنابل الذرية ولا الشيوعية ، بل كان تقسيم ألمانيا ومعظم أوروبا إلى مناطق نفوذ روسية وأمريكية ، هو الأساسى الذى تطورت عليه الحرب الباردة بين القوتين ^(١) .

وقد أثار هذا الوضع تساؤلات هامة حول ما إذا كانت المواجهة العظمى السياسية والعسكرية حول أوروبا أمرا لم يكن من الممكن تجنبه ؟ فعام ١٩٤٧ أصبح المفهوم الأمريكى العام لا يحصر التحدى السوفيتى فى تصميم إمبريالى ، وإنما فى حملة سوفيتية تهدف إلى التدمير الكامل للتقاليد الغربية . وقد تعرض هذا المفهوم لانتقادات عدد من المؤرخين بدرجات متفاوتة ، فكتاب مثل : هاتز مورجانتو ١٩٥١ ، جون لوكاتش ١٩٦٢ ، وإسحاق دويتشر ١٩٦٦ ، ولويس هل ١٩٦٧ ، وماريشال شولمان ١٩٦٦ ، وولفردناب ١٩٦٧ ، قد تشككوا فى المخاوف والافتراضات الأيديولوجية التى وجهت تقيم السياسة الأمريكية فى سنوات مابعد

= راجع : kennan, George The U.S. and Soviet union, 1917-1976, Foreign Affairs, July 1971). p.671.

بينما يرفض تفكير آخر هذا التفسير ، ويعتقد أن النظر إلى التدخل الأمريكى على هذا الأساس باعتباره ، أنه كان موجها فقط لإحباط التوسع اليابانى فى منشوريا وسيبيريا ، إنما يتفادى السؤال عن لماذا لم تتعاون الولايات المتحدة مع لينين الذى أخذ المبادرة وتطلع إلى التحالف مع الولايات المتحدة ضد اليابان .

American-Russian Relations. p. 106.

راجع : (١) Lukasc, John, "A New History of the cold war", Anchor Book, Garden City, 3 Edition 1966, p. 3.

الحرب . فقد أرجع فلمنج بشكل ثابت الشك السوفيتي وتطرف السلوك ورد الفعل إلى العداء الأمريكي منذ البداية ، ومن ناحية أخرى فإن الولايات المتحدة باقتصادياتها الواسعة وقوتها التي لم تمس تقريباً بل زادت بعد الحرب ، كان بإمكانها أن تقدم عوناً اقتصادياً للاتحاد السوفيتي يخفف من آثار التدمير والضعف الاقتصادي الذي سببته الحرب ، غير أنه بدلاً من هذا فإن إدارة ترومان ألغت بشكل قاطع المساعدات التي كانت تقدم وفقاً لقانون الإعارة والتأجير ، وبدون أن تقدم أي توضيح ^(١) . وكرد فعل على هذا الاتجاه أعلن ستالين في مارس ١٩٤٦ عام خطة جديدة للسنوات الخمس : لإعادة بناء صناعة روسيا والتكنولوجيا الروسية والاستقلال المالي للاتحاد السوفيتي * .

كذلك كان من الافتراضات التي حكمت العداء الأمريكي السوفيتي لما بعد الحرب ، تصور دور الأيديولوجية في توجيه سياسة وسلوك السوفيت وحقيقة فإن المفاهيم الأيديولوجية إنما تكون رؤية الحكام للصالح الوطني . وحقيقة أيضاً أن القادة السوفيت يرون المستقبل في انتصار الاشتراكية على الرأسمالية وأنهم سيعملون على دفع وتحقيق ذلك ، غير أن هذا لا يعني أن هذا التصور إنما يمارس على إطلاقه

(١) Fleming, D.F. "The Cold war and its origins, 1917-1960, Gardencity, N.Y., 1961. Vol. 2, p.

• في هذه الخطة كرس ستالين النظرة الماركسية بأن الحروب « هي نتيجة حتمية لتطور الاقتصاد العالمي والقوى الاجتماعية والسياسية على أساس من الرأسمالية الاحتكارية الحديثة » وعلى هذا فلم تكن الحرب العالمية الثانية « حدثاً عارضاً » واستخلص ستالين من نتائج هذه الحرب انتصار النظام الاجتماعي السوفيتي وصموده لكل الاختبارات . وقد فهمت هذه الخطة في الولايات المتحدة على أنها إيهاء للتحالف الذي قام خلال الحرب ، وعودة إلى الأساليب والسياسات الشيوعية المتشددة .

راجع : Kohler, Foy, "Understanding The Russians", Harper's Row Publisher, New York, 1970, PP. 88. 273.

وبدون إدراك للحدود أو للمخاطر التي يمكن أن يتعرض لها الأمن القومي السوفيتي أوكيان النظام السوفيتي ذاته ، كذلك فإنه من القراءة الحاططة للتاريخ اعتبار أن الاعتقاد بأن العداء الذي لاربعة فيه بين الاشتراكية والرأسمالية هو الموجه للدبلوماسية السوفيتية من يوم ليوم ومن شهر لآخر ، فبرغم الارتباطات الأيديولوجية فإن القادة السوفيت قد ناوروا وساموا وأقاموا ارتباطات وتحالفات مع كل أشكال النظم والحكومات مع جمهورية فيمار ، ومع ألمانيا النازية ، مع اليابان وضد اليابان وذلك لحماية أمن بلادهم ، وظل العامل الإقليمي والدفاع عن الاتحاد السوفيتي هو « الأهداف الدائمة » التي كان يضحى من أجلها وبلا تردد بالشيوعية الدولية ^(١) ، فالسياسة الخارجية السوفيتية كانت دائما تملأها المتطلبات الداخلية ووقائع الموقف الدولي .

والواقع أن نظريات الحرب الباردة لم تخطئ فحسب في فهم العلاقة بين الأيديولوجية ، ولكنها أخطأت أيضا في النظر إلى الأيديولوجية ككم ثابت ، وكأن المفاهيم الأيديولوجية ليست خاضعة للتغير . وليس من شك في أن هذه النظريات تستطيع أن تثير وتقدم نصوصا سوفيتية تمثل عرضا كلاسيكيا للسياسة الخارجية من زاوية النظر الضيقة غير أن الأيديولوجية الشيوعية ليست ثابتة ولا تخضع للتغير والتكيف ، بل إنه ليس هناك أكثر تطرفا من الشيوعيين في إنكار الطابع الجامد لعقيدتهم « إن العقيدة المركزية للحزب الشيوعي والحكومة الشيوعية هو اتباع سياسة نشطة وحازمة تأخذ في الاعتبار الوقائع الكلية للموقف الدولي والعلاقة الحقيقية بين القوى كما تقيم بشكل واقعي الاختلافات بين سياسات أقطارها » ^(٢) .

(١) Deutscher, Isaac, "Ironies of History". Oxford university Press, London, 1966, p. 151.

Kohler, Foy "understanding the Russians", op. cit., P. 283.

(٢)

ومن ناحية أخرى فإنه يبدو أن توقعات كل قوة قد خابت في الأخرى حول تصور كل منها للمدى الحرية وإطلاق اليد التي ستتيحها للأخرى في الشؤون الدولية ، فعلى الجانب السوفيتي فإن ما أوضحه الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت من أن القوات الأمريكية لن تظل في أوروبا بعد عامين من إنهاء الحرب ، قد دفع السوفيت وأغراهم بأن يحسّوا نبض التماسك الأمريكي وقدرة احتماله وارتباطه ووجوده الذي لم يسبق له مثيل في القارة ، ومن الناحية الاقتصادية اعتقد ستالين أن الاقتصاد الأمريكي سوف يشهد ركوداً آخر بعد الحرب . ومن ثم فقد أصبح من السهل الاعتقاد بأن الأمريكيين - تحت وطأه الإحباط المتزايد في أوروبا وعدم القدرة على حل المشاكل المعقدة في ألمانيا - سوف يتجهون إلى العزلة وخلال هذه الفترة التي شهدت أزمة حصار برلين ، فإن الدبلوماسية السوفيتية بدت وكأنها تعمل على أساس من الافتراض بأن الأمريكيين ، حين سيواجهون بمفاوضات طويلة لا يبدو لها نتيجة أو ثمرة ، سوف يستسلمون من باب الإجهاد والإرهاق . وكما خيبت الولايات المتحدة آمال الاتحاد السوفيتي ، كذلك فإن الاتحاد السوفيتي قد خيب توقعات روزفلت وما كان يعتقد فيه من أن سياسات الاتحاد السوفيتي وسلوكه الحالي هو نتيجة لسنوات الحرب الأهلية وحروب التدخل ، ومن رواسب فترة عدم الاعتراف الأمريكي الطويل بالنظام السوفيتي والعداء المكشوف من القوى الغربية بعامة ، وأنه إذا ما أظهر له التفهم وقدمت الضمانات لأمنه ومنح مكانه الصحيح كقوة كبرى ، فإن الاتحاد السوفيتي سوف يتخلص من عقدة الاضطهاد ، وسيسهم في بناء نظام مستقر على أساس الأمم المتحدة . وهكذا فإن خيبة الأمل المتبادلة تلك قد ظهرت لدى كلا الجانبين خلال الأعوام التي أعقبت الحرب وأخلت هذه التوقعات السيل إلى اتهامات زائدة

متبادلة والاعتقاد بأن طبيعة نظام الخصم السياسى والاجتماعى هى مصدر كل المتاعب فى العالم أكثر منها تصادمًا فى المصالح بين الدولتين ^(١) .

وقد سجلت الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٤٩ افتقاراً تاماً للاتصال بين القوتين الكبيرين وتملكهما الاعتقاد بمخططات الآخر العدوانية فعلى الجانب السوفيتى كان الخطر يرى بشكل غير مباشر وغير وشيك ، أما الولايات المتحدة التى كان يزعمها نمو قوة الأحزاب الشيوعية وتصور أن هذا يمثل مرحلة أولى فى المخططات السوفيتية للاستيلاء على فرنسا وإيطاليا ، وكذلك تصور السوفيت أن الخطر الحقيقى يكمن فى التوحيد والبناء الاقتصادى للمناطق الغربية لألمانيا ؛ لأن هذا سوف يعنى بداية الاتجاه نحو إعادة تسليحها ، وبالفعل حين توحدت المناطق الغربية فى ألمانيا فى ربيع عام ١٩٤٨ وتحلى الغرب عن اعتراضه على مثل هذه الخطوة ، وحين تبنى الإصلاح النقدى الذى أثبت أنه حاسم فى إصلاح الاقتصاد ، شعر السوفيت أن مجهوداً أكيداً من جانبهم يجب أن يتم لمنع قيام ألمانيا الموحدة ^(٢) ، وتلازم مع هذا ماسيطر على اتجاه التفكير فى كلا البلدين ، فى الولايات المتحدة ساد أن الشيوعية هى القوة العدوانية الأولى فى العالم ، وأنها تستهدف تخريب وهدم العالم الحر . أما فى الاتحاد السوفيتى فقد نظر إلى الولايات المتحدة باعتبارها قوة العدوان الأولى فى العالم التى تهدف إلى تقويض المعسكر الاشتراكى وضرب الحركات الثورية ^(٣) .

وقد تطورت أفعال وردود فعل القوتين إزاء بعضها البعض إلى نشوء ما يعرف بسياسة الاحتواء من جانب الولايات المتحدة ، والتى ضمت نطاقاً من الإجراءات

(١) Ulam, Adam, "Expansion and Coexistence: the history of soviet foreign policy 1917-1967",

Secker, warburg, London,

Ibid, P. 452.

(٢)

(٣)

العسكرية والسياسية والاقتصادية ، تمثلت في مشروع مارشال الاقتصادي الذي هدف إلى إعادة بناء الحياة الاقتصادية والاجتماعية في دول أوروبا الغربية ، ورفع أنقاض الخراب المادي والاقتصادي والمعنوي الذي حلّ عليها من جراء الحرب كأسلوب لمواجهة التحدي الشيوعي ، ثم إقامة حلف شمال الأطلسي كأداة عسكرية لمواجهة هذا التحدي ، وقد قابل الاتحاد السوفيتي هذه الإجراءات ، فجاء رده السياسي على مشروع مارشال وبعد رفضه الاشتراك فيه بإنشاء الكومنثورم ، ثم أعقبه بإنشاء الإطار العسكري لعلاقات الاتحاد السوفيتي بحلفائه في دول أوروبا الشرقية (حلف وارسو) . وقد تصورت سياسة الاحتواء قيام علاقة ديناميكية بين القوتين ، بمعنى أن كل شيء تفعله روسيا أو لا تفعله له تأثير مباشر على أمريكا ، وكان فشل أو نجاح الإنتاج الصناعي أو الزراعي الروسي ليس مجرد أمر من أمور روسيا الداخلية ولكنه تطور سوف يؤثر على ميزانيات أمريكا الحربية ، وأنه إذا ما أرسل سلاح روسي أو تشيكي إلى بلد صغير ، فإن ميزان القوى الحساس بين القوتين إنما يتغير في الحال ، وبنفس القدر أصبح ماتفعله أمريكا أو لا تفعله إنما يؤثر بشكل مباشر على روسيا ، وبمقدار ما تزداد أو تنقص قوة أمريكا الحربية ، فإنه يكون في هذا تشجيعاً أو إحباطاً للتوسع السوفيتي ، وأن تداعي أحد حلفاء أمريكا كان يعني نشوء فراغ يدعو الاتحاد السوفيتي لملئه ^(١) .

عهدا روزفلت وستالين

كان إعلان هتلر الحرب بعد أربعة أيام من حادثه بيرل هاربور قد جعل كلاً من

(١) Schurmann, Franz "The logic of world Power", Pan cheon Books, New York, 1974, P. 9. p. 30

الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حلفاء رسميين ، وأصبح النصر على ألمانيا من الآن فطالماً سيعتمد على التعاون مع روسيا أيّاً كانت خلافات الماضي . وفي أغسطس عام ١٩٤٢ أمر روزفلت مستشاريه في الشؤون العسكرية بالإسراع في مساعدة الاتحاد السوفيتي ، وبعد ذلك بثلاث شهور ذهب روزفلت إلى القول بأن بقاء الاتحاد السوفيتي هو أمر ضروري للدفاع عن الولايات المتحدة وأمر أن تستفيد روسيا في الحال من قانون الإعارة والتأجير Lend Lease ^(١) .

وبالإضافة إلى الاعتبارات العسكرية ، كانت اتجاهات روزفلت نحو الاتحاد السوفيتي تصدر عن اعتقاداته حول نوايا السوفيت ، حيث كان مقتنعاً بأن الخلافات في الحضارة واللغة والأيدولوجية هي التي تفصل الاتحاد السوفيتي عن الولايات المتحدة ، كما أنه وإن لم يكن لديه تصور مختلف جذرياً عن التصور الأمريكي التقليدي حول النظام السوفيتي ، فقد كان يعتقد بأن الصيغة الروسية لنظام الحكم الشمولي هي أقل خطراً من الصيغة الألمانية ؛ فالكرملين على أية حال لم يتطلع إلى غزو العالم من خلال العدوان العسكري ، ولذلك فقد اقتنع بأن العداء الروسي للغرب إنما ينبع أساساً من الافتقار إلى الخبرة المتبادلة بين الحضارتين ^(٢) . وهكذا وجد الاتحاد السوفيتي نفسه عام ١٩٤١ - وبشكل غير متوقع - يحارب في نفس الجانب مع الحلفاء الغربيين ، ولم يكن هذا هو اختياره ، بل على العكس فقد بذل قادته ما في وسعهم لكي يتفادوا هذا الموقف ^(٣) .

(١) Gaddis, J-Lewis "The U.S. and the origins of the cold war" Columbia University Press, New York, 1972 P.5 1941-1947".

(٢) Harriman, Avrell, "America and Russia in a changing world", George Allen, university L.T.D., London, 1971, p. 23.

(٣) Schurmann, Fran 3, "The Logic of world Power" Pantheon Book. New York, 1979, p. 13.

وكما كان لروزفلت أفكاره حول ضرورة الاتحاد السوفيتي للتحالف الغربي خلال الحرب والتي دعمها بين الرأي العام الأمريكي مشاعر صداقة وإعجاب بالشجاعة التي أظهرها الشعب الروسي والتضحيات التي تحملها ، كذلك كان للرئيس روزفلت أفكاره حول إمكانيات بناء نظام دولي لما بعد الحرب ، تتعاون فيه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وقد استمدَّ روزفلت هذا التصور من معرفة وثيقة بالماضي وتقدير للحساسيات والرواسب التاريخية لدى الاتحاد السوفيتي ؛ حيث كان مدركاً أن روسيا كآمة قد عانت خسارة في أجزاء هامة من أراضيها في آسيا نتيجة للحرب مع اليابان عام ١٩٠٥ ، كما قد أجبرت في نهاية الحرب الأولى على التنازل عن فنلندا ، ودول البلطيق الثلاث ، وبولندا ، وأجزاء من رومانيا . وهكذا فإن الدولة السوفيتية الجديدة قد ورثت نفس الشعور المشابه لفرنسا عقب خسارتها للألزاس واللورين . كذلك رأى روزفلت أنه في نفس الوقت الذي خفّت فيه التوترات بين الشرق والغرب خلال الخمسة عشر عاما الأولى من الحكم السوفيتي ، فإن تدهوراً جديداً قد بدأ حين أظهرت الدبلوماسية الغربية حماقة تهديتها لهتلر وموسوليني ، في الوقت الذي كان الاتحاد السوفيتي يدعو فيه بشكل متكرر للعمل على وقف العدوان الفاشي وبناء نظم للأمن الجماعي ، وأن هذا قد جرى وسط إحساس السوفيت الأكيد أن من أهداف سياسة التهدة تلك تحويل العدوان نحو الشرق ^(١) . وعلى هذا فإن روزفلت الذي كانت رؤياه للنظام الدولي الجديد تتمرج بالواقعية لم يكن يميل إلى أن يعارض خطط ستالين في أن يحقق لنفسه الأمن من خلال خلق مناطق نفوذ على طول حدود الاتحاد السوفيتي ، إلا أن

(١) Warburg, James, "The U.S. in the Post war world: A critical appraisal", London, 1966.

روزقلت وضع شرطين لاستعداده أن يوفر ويوافق على احتياجات ستالين المتعلقة بالأمن : أن يبدو الزعيم السوفيتي فطناً في إقامة سيطرته على الأقطار المجاورة ، وأن يعمل في هذا تحت واجهة الإجراءات الديمقراطية حين يكون ذلك ممكناً ، وكان روزقلت يراعى في هذا الرأي العام في الولايات المتحدة ، حيث كان يعلم أن الأمريكيين لن يسمحوا بخرق مبادئ الحريات الأربعة وميثاق الأطلنطي . أما الشرط الثاني فهو أن يتخلى الكرملين عن محاولاته في نشر الشيوعية خارج الاتحاد السوفيتي . ذلك أنه في التحليل النهائي - وأياً كانت ظواهر الأمور - فإن ارتباط موسكو والتزامها بالإطاحة بالرأسمالية في كل العالم كان السبب الرئيسي في عدم استقرار العلاقات الروسية الأمريكية منذ الثورة البولشفية ^(١) بل إن هذا هو ما اعترف به ستالين حين ألغى الكومنترن عام ١٩٤٣ * .

وقد كان من الواضح أن للولايات المتحدة وحلفائها - بوجه عام - مصلحة قومية في دخول الاتحاد السوفيتي الحرب وبقائه في صف الحلفاء ، وعلى هذا الأساس قدمت الولايات المتحدة ما قيمته ٩ بليون دولار وفقاً لقانون الإعارة

(١) "Gaddis, John, Lewis", was the Truman doctrine a Real Turning Point", Foreign Affairs, January, 1974, p. 338.

• جاء تفسير حل الكومنترن في ٢٥ مايو سنة ١٩٤٣ بأنه قد تعدى فائدته ، وأن الوقت قد حان لمزيد من الاستقلال لوحده ، وقد فصل ستالين في مقابلة له أهمية هذا التصرف ، واعتبر أنه سيضع حداً للإهانة التي تلحق الأحزاب الشيوعية بأنها تتلقى التعليمات من الخارج ، وأنها تعمل بالنيابة عن موسكو . كذلك فإن الأحزاب الشيوعية تستطيع الآن أكثر من أي وقت التعاون على نطاق واسع ضد هتلر وتبني علماً أفضل . غير أن السبب الحقيقي لحل الكومنترن كان مختلفاً عما أعلن ، فإن روح الطاعة لموسكو ولجهاز تنفيذها كان قد أصبح قائماً في كل حزب شيوعي ، وأنه لم يعد في حاجة إلى الأشكال الخارجية للوحدة ..

والتأجير للاتحاد السوفيتي ، وكتب روزفلت للجنرال مكارثي في مايو : إن الجيوش الروسية إنما تقتل من أفراد المحور وتدمر من معدّاته أكثر من مجموع ماتفعله أكثر من ٢٥ دولة مجتمعة ، بل إنه وحتى بعد سقوط موسوليني في يوليو سنة ١٩٤٣ كان روزفلت مازال يقول للشعب الأمريكي : « إن أثقل وأكثر القتال حسماً إنما يدور الآن في روسيا ، وإن الولايات المتحدة كان لها الحظ في أن تسهم بشئ ما في الجهد السوفيتي ^(١) .

أما الاتحاد السوفيتي ، فقد عبّر ستالين نفسه خلال اجتماعات طهران ، أنه « بدون الولايات المتحدة كمصدر للمحركات والآلات فإن هذه الحرب كانت ستخسر » ^(٢) ، وفي مؤتمر يالطا اقترح ستالين نخب الرئيس روزفلت ، « الذي لم تكن بلاده مهددة بشكل جدّي بالغزو ، ولكن ربّما من خلال تصوره العريض للمصالح القومية ، بل إنه حتى برغم أن بلاده لم تكن مهددة بالخطر بشكل مباشر ، فإنها كانت العنصر الأساسي الذي قاد تعبئة العالم ضد هتلر » ^(٣) .

وهكذا كان روزفلت يعتقد أنه يستطيع أن يلبيّ احتياجات الأمن الروسية المشروعة ، بشرط أن تتخلّى روسيا عن محاولاتها فرض الشيوعية على بقية العالم ، واعتقاده أن الدبلوماسيين خلال الحرب العالمية الأولى قد أخطأوا في عدم الاتفاق على أهداف الحرب قبل نهاية القتال ؛ لذلك فقد علّق روزفلت أهمية كبيرة على الوصول إلى اتفاق مبكّر مع ستالين في هذا الشأن ، واعتقد أن الدبلوماسية الشخصية سوف تثبت حسن نوايا الولايات المتحدة ، وتخلق بهذا قاعدة للتعايش

Gaddis, "The U.S. and the origins of the cold war" op. cit., p.5. (١)

Harriman, "America and Russia in a changing world", Op. cit., p. 23 (٢)

Ibid, (٣)

السلمي بعد الحرب ، وكان يقول عقب اجتماعات طهران : إني أتقدم بشكل طيب مع الماريشال ستالين .

وقد رد البعض اتجاه روزفلت هذا إلى الطبيعة غير الحذرة التي لا تخشى بالشك ، أو إلى الجانب المثالي في التفكير الأمريكي ، خاصة خلال الحرب التي اعتقد أنها فترة غير طبيعية في مجرى علاقات الأمم ، وأنه بانتهاء الحرب وإزالة المعتدى فإن التوافق سوف يعود ، ويتبنى صراع القوة والنفوذ^(١) .

كذلك رآه البعض فيما ساد بوجه عام من إحساس ، أن الروس إنما يبذلون أكثر من نصيبهم في القتال وأكثر من هذا ؛ فقد كان ثمة تخوف خلال فترة الحرب أن يتجه ستالين إلى توقيع صلح منفرد مع هتلر إذا لم يلق كل مساعدة وتفهم لمتطلبات أمنه بعد الحرب ، خاصة وأن الشك كان مازال كامناً من تجربة ميونيخ بأن الغرب يريد أن يدمر الألمان والروس أحدهما الآخر^(٢) .

وقد كان النصر الساحق الذي حققه الجيش السوفيتي في ستالينجراد عام ١٩٤٣ قد حول بشكل جذري الميزان العسكري على الجبهة الشرقية في صالح الروس ، وجعل من الواضح أن ستالين سوف يكون في وضع يمكنه من أن يفرض إرادته على شرق أوروبا. واستمراراً لتفكيره حول إمكانية إقامة علاقات متوافقة مع الروس بعد الحرب ، فقد اعتقد روزفلت بأنه من الممكن تحقيق نوع من الاتفاق مع الروس حول هذه المسألة بينما الحرب مازالت مستمرة ، في هذا الخصوص أقام روزفلت

(١) Spanier John, "American Foreign Policy since world war 2" Nelson, London, 4 edition, 1972, p.27.

(٢) Mcneille, william "America, Britain and Russia: their Cooperation and conflict 1941-1946" New York, 1953, p. 25.

تفكيره منذ بدأ الحديث حول مستقبل الأوضاع في شرق أوروبا في مؤتمر بوتسدام - نوفمبر سنة ١٩٤٣ - على أساس أن مطالب ستالين الإقليمية يمكن أن تُشبع من خلال الجمع بين الاستفتاء وأساليب الوصايا بدون خرق لميثاق الأطلنطي ، بل ذهب إلى أن يحذّر صراحةً السفير البولندي من أن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تحارب ستالين لمنع من الاستيلاء على شرق بولندا ودول البلطيق ، وفي سبتمبر سنة ١٩٤٣ قال لبطريك بولندا : إنه لن يكون هناك معنى في معارضة مطالب ستالين الإقليمية ؛ لأن الزعم الروسي لديه من القوة ما يكفي للسيطرة على هذه المناطق ، بغض النظر عما يمكن أن تفعله الولايات المتحدة ، ولهذا سيكون من الأفضل التجاوب مع مطالب ستالين بشكل ودي ، وقد أكدّ روزفلت هذه النظرة لسفيره في موسكو إفريل هاريمان ، ولكنه أضاف : إنه سيحاول منع ستالين من أن يذهب بعيداً ، بتأكيد على ردّ الفعل العالمي غير الملائم الذي يمكن أن تثيره سياسات سوفيتية متطرفة في هذه المنطقة ، وأن يوافق على تقسيم وتجزئة ألمانيا بأمل أن يجعل هذا الروس يشعرون بأنهم أكثر أمناً ، بتقديم المساعدة الاقتصادية لإصلاح خسائر الحرب وعقب هذا بوقت قصير أبلغ روزفلت وزير خارجيته هل أنه ينوي أن يناشد ستالين « على أساس من القيم الأخلاقية العليا » ، ولم يكن هذا هو رأي روزفلت وحده ، بل شاركه فيه بوجه عام مستشاروه حيث كانوا يعتقدون أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تفعل الكثير لمنع ستالين من الاستيلاء على المناطق التي يريدونها ، وتؤكد هذا الاتجاه بعد عودة جوزيف دافيز من رحلته في موسكو في صيف عام ١٩٤٣ . وجاء في تقريره : « إن الروس سوف يسترجعون ما يعتبرون أنه قد أخذ منهم خطأ » كما حذر Hickerson مساعد مدير إدارة أوروبا : « إن أية محاولة لإعادة حدود ما قبل سبتمبر سنة ١٩٣٩ في شرق أوروبا سوف تكون مقامرة

عسكرية خالصة^(١).

وعلى هذا لم يكن هناك أى لبس حول أهداف ستالين فى شرق أوروبا ، وكذلك عما ستكون عليه استجابة روزفلت وخاصة عند الرحيل إلى مؤتمر طهران فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ : سوف يستعمل روزفلت نفوذه لحث ستالين على أن يكون كريماً فى الوقت الذى سيعمل على إقناع الأوربيين الشرقيين بأن مصلحتهم تكمن فى التعاون مع الاتحاد السوفيتى ، وأنه تحت أى ظروف فإن الولايات المتحدة لن تحارب من أجل تقرير المصير فى شرق أوروبا . أما المشكلة الأساسية بالنسبة للسياسة الأمريكية فقد كانت كيفية إقناع وتقديم هذه السياسة للرأى العام الأمريكى باعتبار أنها لا تمثل خرقاً لميثاق الأطلنطى . وقد ظهر اعتبار الرأى العام الأمريكى واضحاً فى لقاء روزفلت وستالين عام ١٩٤٣ فى طهران ، فقد ذكر روزفلت الزعيم الروسى بأنه ثمة انتخابات أمريكية قادمة عام ١٩٤٤ ، وأنه إذا كان عليه أن يخوضها فإنه يجب أن يضع فى اعتباره وجود ستة ملايين ناخب بولندى فى الولايات المتحدة ، وأنه كرجل عملى لا يريد أن يفقد أصواتهم ، وأنه شخصياً يوافق ستالين أن الحدود البولندية يجب أن تعدل ، وأن البولنديين يجب أن يعوضوا من الأراضى الألمانية ، وأنه لهذا يأمل أن يقدر ستالين أنه لاعتبارات سياسية لا يستطيع أن يشارك علانية فى أية ترتيبات فى هذا الشأن فى الوقت الحاضر . وأجاب ستالين بأنه - وقد أوضح روزفلت ما أوضحه - قد أدرك الآن الاعتبارات التى تتحكم فى موقف روزفلت وقد خرج ستالين من هذا الحديث وهو مقتنع بأن اهتمام الرئيس الأمريكى الأساسى هو أن يقدم السياسة الروسية إلى الرأى العام الأمريكى فى شكل ملائم ، لأن يضمن الالتزام الحرفى بمبادئ ميثاق الأطلنطى^(٢) .

(١) Gaddis, "The U.S. and the origins of the cold war", op. cit., p. 135-136.

Ibid. p. 139

(٢)

على أية حال ، فإنه في اجتماع طهران اتفق على حدود بولندا ، حيث كان الاتحاد السوفيتي سيحتفظ بكل الجزء الشرقى ، وتعرض بولندا على حساب ألمانيا بالحصول على معظم شرق روسيا رانزيج ويوميرافيا ، وسياسيا حتى نهر الأودرنيس ، غير أن المشكلة التي بقيت هي : أى حكومة تحكم بولندا ؟ في هذا الشأن كان الأمريكيون يفضلون الحكومة البولندية التي تقيم في لندن ، بينما كان الروس يشكون فيها ، وفضلوا عليها مجموعة أخرى هي اتحاد الوطنيين البولنديين التي تقيم في موسكو^(١)

وقد كان هذا الموضوع ، أو المسألة البولندية بوجه التحديد ، هو الذى سيطر على اجتماع روزفلت وستالين في يالتا على ساحل البحر الأسود في فبراير عام ١٩٤٥ . فقد كانت بولندا كما عبر تشرشل أكثر الأسباب إلحاحاً لمؤتمر يالتا ، كما أثبتت أنها أكثر الأسباب التي أدت إلى انهيار التحالف العظيم^(٢) .

وقد بدا أن يالتا كانت هي الحد الفاصل بين تعاون مابين الحرب وبداية مابعد الحرب ، أو الحرب الباردة ؛ ولذلك فإنه من الصعب فهم مجريات الأمور فيما بعد مراحل الحرب الباردة بدون التعرف على التفسيرات التي أعطيت لمؤتمر يالتا .

فبعد أن ذكر روزفلت ستالين بتأثير وجود ستة ملايين بولندي في الولايات المتحدة ، وتناقشا فيمن يحكم بولندا : هل حكومة لندن ، أو حكومة لوبلن Lublin أو خليط منهما ؟ وقد أبلغ روزفلت ستالين أن الرأي العام الأمريكي يرفض حكومة لوبلن على أساس أنها تمثل أقلية ، إلا أنه في نفس الوقت قال : إنه « يريد

Higgins, Hugh", The cold war", Harper and Row, 1974, p. 22.

(١)

Lukasc "A New History of the cold war," op. cit., p. 49

(٢)

حكومة في بولندا تكون صديقة للاتحاد السوفيتي* لسنوات قادمة وهذا أمر جوهري . ويبدو أن روزفلت لم يتبين التناقض القائم في قوله ، فالحقيقة أن حكومة في وارسو تمثل الرغبة الحقيقية للبولنديين ستكون معادية حتماً للاتحاد السوفيتي (١) .

وقد أصر الروس على أن تكون حكومة لوبلين نواة أي حكومة مؤقتة واقترح البريطانيون أن حكومة بولندية جديدة يجب أن تتكون من ممثلين من حكومات لندن ولوبلين : ثم اقترح الأمريكيون اقتراحاً وسطاً بأن يعاد تنظيم الحكومة البولندية المؤقتة الحالية إلى حكومة تمثيلية كاملة قائمة على كل القوى الديمقراطية في بولندا وتضم القادة الديمقراطيين من خارج بولندا . وقد أصبح الاقتراح الأمريكي هو أساس الاتفاق النهائي « إن الحكومة المؤقتة التي تعمل الآن في بولندا يجب أن يعاد تنظيمها على أساس ديمقراطي واسع ، بحيث تتضمن القادة الديمقراطيين من بولندا نفسها ومن البولنديين في الخارج ، ويجب أن تدعى هذه الحكومة البولندية المؤقتة للوحدة الوطنية . . وقد وافق روزفلت على هذا الحل الوسط : لأنه اعتقد

* في المعاني العملية ، فإن مفهوم الحكومة الصديقة لدى الاتحاد السوفيتي كان يفترض أن يعنى كحد أدنى الحكومة التي تلتزم بعدم الدخول في تحالفات مع عدو محتمل لروسيا . وأن تقاوم في نطاق اختصاصها أي تحركات عسكرية تهدد روسيا . وفوق هذا فإنها يجب أن تمتنع عن تهديد السياسة الخارجية السوفيتية . أما مدى المصداقة الأيديولوجية فثمة رأي يقول إنها لم تكن واردة بشكل مباشر . باعتبار أن ستالين كان رجلاً سياسياً أكثر منه أيديولوجياً وبين رأي يقول إن ستالين كان يعتقد أن من تصل قواته إلى أرض ما يجب أن تفرض عليها نظامها الاجتماعي .

Spanier, American Foreign Policy, Op. Cit.

راجع في هذا :

Djilas, Milovan, "Conversations with stalin" Rubest Hartduis, 1962, (١) p. 105.

Spanier, "American Foreign Policy since world war 2" op. cit., pp. 27-28.

أن الحكومة المؤقتة المعاد تنظيمها سوف تظلّ في السلطة فقط حتى تُعقد الانتخابات لتقرير إرادة الشعب البولندي ، وشجع ستالين هذا الاعتقاد قائلاً للرئيس . إنه « ما لم تحدث كارثة على الجبهة ويهزمنا الألمان ، فسوف يكون من الممكن إجراء انتخابات في بولندا خلال شهر . وكان روزفلت يعقد أهمية كبيرة على هذه الانتخابات ويشعر أنها جوهر كلّ المسألة ، حيث كان يريد أن يعطى بعض التأكيدات للمستة ملايين بولندي في الولايات المتحدة أن الانتخابات سوف تجرى بحرية ، ولهذا طلب من ستالين أن تكون هذه الانتخابات أبعد من أى شك « ونقية كزوجة القيصر » ، وأجاب ستالين بأن « هكذا كانوا يقولون ، ولكنها في الواقع كان لها خطاياها » . وقد عكس البيان النهائي رغبات روزفلت بأن وعد الحكومة المؤقتة « بعقد انتخابات حرة وغير مقيدة بأسرع وقت ممكن على أساس الانتخاب العام والاقتراع السري » . وبعد انتهاء المفاوضات أُسّر أحد معاوني روزفلت بانطباعاته عن الاتفاق حول بولندا قائلاً : إنها مطاطة بشكل يمكن للروس أن يمدوها على مدى المسافة من يالتا إلى واشنطن بلون خرقها فنياً . وأجاب روزفلت بإرهاق : « أنا أعلم هذا ، ولكنه أفضل ما أستطيع أن أقدمه لبولندا في هذا الوقت » ^(١) .

بالإضافة إلى الوضع في بولندا ، تعرض مؤتمر يالتا إلى الوضع العام في المناطق المحررة من الاحتلال النازي ، وكان من الواضح أنه يقصد بها أساساً المناطق التي حرّرها الجيش الأحمر في شرق ووسط أوروبا ، وعرف مشروع الإعلان « بإعلان عن شعوب أوروبا المحررة » Declaration on Liberated Europe تعهد

Gaddis, "The U.S. and the origins of the cold war" op. cit., (١)
pp. 160-163.

بمقتضاه كل من حكومات أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي بشكل مشترك أن تساعد الشعب في أي دولة أوربية محرة أو دولة تابعة سابقاً للمحور أن تكون حكومة مؤقتة وممثلة بشكل عريض لكل العناصر الديمقراطية للسكان ، وأن تعد بأن تقيم بأسرع وقت ممكن انتخابات حرة للحكومات تستجيب لإرادة الشعب ، وأن تسهل عند الضرورة إجراء هذه الانتخابات .

وكان مثل هذا الإعلان بالنسبة لستالين - الذي كان قد سبق أن وقع ميثاق الأطلنطي عام ١٩٤١ - من غير الصعب عليه أن يشترك فيه ، وخاصة أنه قد صيغ بصيغة عامة ، بل إن الإعلان يمكن أن يفسر من وجهة النظر الماركسية بشكل مختلف عما يعنيه الغرب ففهوم الشعب عند الماركسي لا يتضمن البرجوازية . وإرادة الشعب ليست هي مفهوم روسيا في الإرادة العامة . وإنما هي إرادة الصفوة التي هي الحزب والقيادة الشيوعية ^(١) .

بالإضافة إلى الاتفاق حول بولندا وإعلان الشعوب المحرة ، تحققت خطوات إيجابية أخرى مثل حل الخلاف حول التصويت في مجلس الأمن ، فقد قبل الاتحاد السوفيتي الصيغة الأمريكية من أن نظام الفيتو في مجلس الأمن إنما يطبق فقط على أعمال القمع وليس على المحاولات السلمية لحل المشكلات ، وحول عضوية الأمم المتحدة خفض ستالين مطالبه من ١٦ مقعداً - مقعد لكل جمهورية سوفيتية - إلى ثلاثة فقط (للاتحاد السوفيتي ، وأوكرانيا ، وروسيا البيضاء) ، وحول ألمانيا قبل منطقة الاحتلال ومقعداً في لجنة الرقابة لفرنسا ، وإدارة واحدة لكل مناطق الاحتلال ، وفيما يتعلق بالشرق الأقصى استجاب لرغبات العسكريين الأمريكيين

(١) . . Gaddis, "The U.S. and the origins of the cold war" op. cit., p. 69.

ووعده بدخول الحرب ضد اليابان ، وفوق هذا كثر الاتحاد السوفيتي أمله في سلام يدوم ٥٠ عاما وتعاون بين القوى الكبرى ^(١) .

وقد أخذت نتائج مؤتمر يالطا في الولايات المتحدة على أنها دلالة على أن الاتحاد السوفيتي يريد بإخلاص نجاح نظام الأمن الجماعي الجديد . ووصف Serrnius وزير الخارجية الأمريكي اجتماع يالطا بأنه « أكثر الاجتماعات نجاحاً » وأنه يقدم الدليل على أن الروس يريدون التعاون مع الولايات المتحدة ، كما اعتقد هاري هوبكنز بأنه في يالطا « أثبت الروس أنهم يمكن أن يبدوا معقولين وأبعد نظراً وأنه لم يكن هناك أي شك لدى الرئيس أولدي أي منا أننا يمكن أن نعيش معهم وأن نواصل المستقبل معهم سلمياً » .

وفي ١ مارس سنة ١٩٤٥ قدم الرئيس روزفلت تقريره إلى اجتماع مشترك للكونجرس حول اجتماع يالطا وقال : إن المؤتمر يقدم أساس السلام الدائم الذي سوف يحقق النظام والأمن للعالم . وإنه قد لا يكون اتفاقاً كاملاً في البداية إلا أنه « يمكن أن يقيم سلاماً على أساس من المبادئ السليمة والعادلة لميثاق الأطلنطي » كما اعتبر أن الإعلان عن أوروبا المحررة قد أوقف اتجاهها نحو تطور مناطق النفوذ ، والتي إذا ما سمح لها أن تستمر بدون توقف فقد يكون لها نتائج مأساوية « واعتبر أن الحل الوسط الذي تحقق حول بولندا ، وتحت هذه الظروف هي أكثر الاتفاقات أملاً في دولة بولندية حرة ومستقلة ومزدهرة » والواقع أن روزفلت قد نجح في أن يجعل قرارات يالطا حول شرق أوروبا مستساغة لدى الرأي العام الأمريكي ، واعتبر معظم الأمريكيين في هذا الوقت الاتفاقيات كأفضل الحلول الممكنة للمشكلة .

(١) Spanier, "American Foreign Policy since world war 2" op. cit.,

وهكذا اعتقد روزفلت ومستشاروه أنهم أقاموا علاقات وثيقة وصديقة مع الاتحاد السوفيتي في يالتا ، وليس غريباً إذن في نهاية المؤتمر أن يشعر الوفد الأمريكي بارتياح بالغ عبر عنه مستشار روزفلت الوثيق الصلة به هاري هويكتر « لقد اقتنعنا حقاً في قلوبنا أن هذا هو فجر « يوم » جديد الذي صلينا من أجله جميعاً وتحدثنا عنه لسنوات طويلة وكنا مقتنعين تماماً أننا قد كسبنا النصر الأول الكبير للسلام ، وأنه بقولنا نحن أعني كل الجنس البشري المتحضر»^(١) .

وقد أثبت روزفلت بحق أنه لم يكن يعني أو يستهدف إقامة حكومات معادية للاتحاد السوفيتي في شرق أوروبا بقبوله لصيغة الحكومات ذات العناصر الوطنية المختلفة وكان في هذا مدفوعاً بإدراكه ووعيه بالأخطار التي يمكن أن تنجم عن صراع أمريكي سوفيتي في أعقاب هزيمة ألمانيا ، وكان إدراكه لهذا البعد الخطير هو الذي جعله يتبع سياسات ثابتة في إقامة صداقة مع الاتحاد السوفيتي ، وأن يخفف من شكوكه تجاه الغرب ، ويقم أساساً من الثقة المتبادلة والنية الحسنة التي يمكن أن يقوم فوقها سلام مابعد الحرب . وكان هذا الاتجاه عنده بوجه خاص مؤيداً باعتقاد روزفلت وتفسيره للسلوك السوفيتي بأنه صادر في المقام الأول كرد فعل للسلوك الأوربي خلال فترة ما قبل الحرب من إقامة الحزام الصحي في شرق أوروبا. وعلى هذا الأساس لم يرد الانتخابات الحرة في هذه المنطقة أن تكون خلقاً لحزام جديد معاد للاتحاد السوفيتي ، وكان يتصور أن الانتخابات الحرة وحكومات من التحالف ، يشترك فيها الشيوعيون إذا ما حصلوا على أصوات تؤهلهم لذلك ، وتحمل اتجاهات صديقة للغرب وللشرق على السواء ، وأن هذه الحكومات لم يكن من الصعب إقامتها ، وكان النموذج في ذلك هو تشيكوسلوفاكيا والنظام الديموقراطي التي تحكم

به وتحفظ معه بعلاقات مع الغرب وبصداقة الاتحاد السوفيتي وخاصة بعد فشل الغرب في إنقاذها قبل ميونيخ ^(١) .

على أنه في الأسابيع التي تلت مؤتمر يالطا تنوعت السياسة السوفيتية من قطر إلى قطر . وقد تحركت السياسة السوفيتية بحذر في إقامة حكومات في المجر وبلغاريا ورومانيا ، ومن ناحية أخرى كان السوفيت متطرفين جداً في أن يضعوا في السلطة نظاماً موالية لهم ، وقد احتجت الولايات المتحدة على هذا المسلك ، إلا أن انتباهها ظلّ مركزاً على بولندا ؛ ففيها أقام ستالين حكومة بطريقة رآها روزفلت مخالفة للاتفاق الذي تمّ في يالطا ، وهو مادفعه إلى أن يكتب إلى ستالين في ١١ إبريل عام ١٩٤٥ ليسجل قلقه من التناول السوفيتي للوضع في بولندا : إنني لأستطيع أن أخفي عنك القلق الذي أنظر به إلى التطورات فيما يتعلق بالمصالح المشتركة منذ اجتماعنا المثمر في يالطا . إن القرارات التي توصلنا إليها كانت طيبة وقد رحّب بها واستقبلت بحماس من شعوب العالم التي رأت في قدرتنا على الوصول إلى أسس مشتركة للتفاهم ، أفضل أمل في عالم آمن وسلمي بعد هذه الحرب .. ومع هذا فثمة افتقار للتقدم غير مشجع حول ماتوقعة العالم من تطبيق القرارات السياسية التي توصلنا إليها في المؤتمر ، وخاصة تلك التي تتعلق بالمسألة البولندية ^(٢) وقد ردّ ستالين عليها في ٧ إبريل سنة ١٩٤٥ وجاء في ردّه : إن الحكومة السوفيتية تنطلق من حقيقة أنه وفقاً لمعنى قرارات مؤتمر القرم فإن القادة البولنديين الذين يجب دعوتهم للتشاور ، يجب أن يعترفوا أولاً بقرارات المؤتمر ، بما في ذلك خط كريسزون ، وأن يعملوا فعلاً على إقامة علاقات صداقة بين بولندا والاتحاد السوفيتي . إن الحكومة

Ibid, p. 28 .

(١)

Rees, David, "the age of containment".

(٢)

السوفيتية تصرّ على هذا ، على أساس الدم السوفيتي الذي أريق بوفرة لتحرير بولندا وحقيقة أنه في مدى الثلاثين سنة الماضية استخدمت أراضي بولندا مرتين للهجوم على روسيا ، كلّ هذا يلزم الاتحاد السوفيتي على أن يعمل على أن تكون علاقاته مع بولندا علاقات صداقة ، غير أن سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا في موسكو لم يضعوا هذا في الاعتبار ، وأصرّوا على أن يدعوا القادة البولنديين إلى التشاور بغض النظر عن اتجاههم إزاء قرارات القرم أو موقفهم من الاتحاد السوفيتي وهذا في رأي هو السبب الذي يعيق حل المسألة البولندية على أساس الاتفاق المتبادل ^(١) .

وعلى هذا فإنه إذا كان الانشغال الأمريكي بالمسألة البولندية والمصير البولندي كما صورته روزفلت أمراً رمزياً يرتبط بالارتباطات العاطفية ، كما يرتبط بالشئون الداخلية في الولايات المتحدة باعتبار الستة ملايين بولندي فيها ، الأمر الذي جعل الارتباط الأمريكي أقرب إلى التجريد والعاطفية ، فإن الموقف السوفيتي كما صورته ستالين في رسالته على أسس واقعية يرتبط بتصميم الأمن السوفيتي ^(٢) .

ومما ضاعف من الشعور بالقلق حول مجرى العلاقات السوفيتية الأمريكية مما بدأ يخفت معه الشعور بالتفاؤل الذي ساد عقب مؤتمر يالتا ، ما أعلنته موسكو في نهاية مارس من أن وزير الخارجية السوفيتي مولوتوف لن يحضر مؤتمر سان فرانسيسكو ، وهو ماحور ضعف حماس موسكو للمنظمة الدولية ، وأصبح وزير الخارجية الأمريكي Settinues الذي رحّب بقرارات يالتا وتحمس لها ؛ لما

(١) Schelesinger, "Arther, the Dynamics of world power. A documentid history of U.S. foreign Policy. 1945-1973". Chelseo H Ouse Publisher, 1973. pp. 70-71.

(٢) Nathan, James & Kaliver", U.S. Foreign Policy and world order" Poston, little Brown, 1976, p. 39.

بشرت به من علاقات متحسنة مع الاتحاد السوفيتى ، هو نفسه الذى حذر زملاءه فى الحكومة الأمريكية بأن تدهوراً خطيراً يجرى فى العلاقات مع الاتحاد السوفيتى . على أية حال فإنه لم يكن معروفاً إلى أى مدى كان روزفلت يتوقع الالتزام الحرفى باتفاقيات يالتا ، قد يكون قد توقع أن يسمح الروس بانتخابات حرة فى بولندا وبقية شرق أوروبا وبرر هذا لديه أن روح التعاون خلال الحرب مازالت حية ، وشجع الاستعداد الذى أبداه الروس فى يالتا على هذا ، وحين بدأ أن الروس يتراجعون ويماطلون تملك روزفلت القلق ، إلا أن هذا لم يكن يعنى أنه قد تخلى عن إصراره على أن الحكومات القائمة على الحدود الروسية يجب أن تكون صديقة « للاتحاد السوفيتى على أن عدم إدراكه لمدى ما قد يذهب إليه السوفيت فى فهم هذه الصداقة ومتضمناتها فى روابط الاتحاد السوفيتى ببولندا وبقية دول شرق أوروبا ، هو الذى جعله لا يدرك التناقض ما بين حكومات منتخبة بشكل حرّ تماماً ، وبين حكومات موالية للروس تماماً ، وهو ما كانت موسكو عملياً تصرّ عليه كما أدى إلى موقف متناقض آخر ، فبينما جعل اتجاه روزفلت الشعب الأمريكى يتوقع انتخابات حرة جعله حين فسّر السوفيت الأمور وفقاً لمصالحهم يعتقد أن اتفاقات يالتا كانت تخلياً عن أقطار أوروبا الشرقية ، أما الروس فإنهم توقعوا أن تطلق يدهم فى شرق أوروبا ، ويفسّر من أرخوا الحياة روزفلت موقفه من اتفاقات يالتا ودوافعه فى ذلك إلى أن روزفلت قد وصل إلى حدود مساوماته فى يالتا ، وكان موقفه لا ينبع من جهل أو سذاجة أو مرض ولكن من قبوله للحقائق التى تقول إن روسيا تحتل بولندا ، وإنها لا تثق فى حلفائها الغربيين ، وإن لديها مليون رجل يستطيعون محاربة اليابان ، وإنها مصممة بشكل مطلق حول بولندا وكانت دائماً كذلك ^(١) .

إدارة ترومان

مع نهاية عام ١٩٤٥ كان من الواضح أن السياسات السوفيتية والأمريكية لم تعد ترتبط حتى بأوهى الروابط التي جمعتها في تحالف الحرب. فخلال الشهور الخمسة الأخيرة من عام ١٩٤٥ وعبر عام ١٩٤٦ تطلع رئيس أمريكي جديد وغير محرب إلى أن يدير السياسة الأمريكية على نطاق عالمي، حتى عندما اصطدمت هذه السياسة مع المصالح السوفيتية أولاً في ألمانيا ثم في وقت واحد في الشرق الأوسط وآسيا والأمم المتحدة، ومن هذه المصادمات بزغت الانعكاسات الحضارية والسياسية ومقاييس السياسة الأساسية للربع قرن المقبل. فعلى عكس المثالية العملية لروزفلت، فإن ترومان قد مزج المثالية بالثقة في أنه يعلم ما هو خير للعالم وأن لديه القوة لفرض ذلك، بالإضافة إلى هذا كان يمتلك نفساً قصيراً وطاقاً كبرى على الغضب المعنوي، وقد أدت مجموع هذه الصفات إلى تصور نظرة مبسطة للعالم شبيهة بالنظر القائلة بأن العالم تحكمه قوى الظلام وقوى النور، وكما كان ترومان يرى عالم ما بعد الحرب أنه مقسم بين واشنطنون الطيبة وموسكو الشريرة، وكان يعتقد أن الإتحاد السوفيتي يقف في طريقة لفرض تصوره عن العالم، وهو ما خلق لدى ترومان عداءً شديداً نحو الإتحاد السوفيتي، وهذا بدوره خلق عداءً مقابلاً لدى ستالين، وبالتالي دائرة لا تفرغ من الشك المتبادل وعدم الثقة والكراهية. وهكذا وصل كل من ترومان وستالين إلى توقع الأسوأ من أحدهما للآخر، وهو ما أسهم بالفعل في حدوث هذا الأسوأ، وعلى عكس روزفلت خلط ترومان التوسعية الرومية المدفوعة باعتبارات وطنية. بما تصوره على أنه مؤامرة شيوعية عالمية.

حدث هذا في الوقت الذي كان فيه ستالين في الواقع وطنياً مكيفلياً حذراً يستخدم الأيديولوجية الماركسية اللينينية كأداة ، وهي الأيديولوجية التي كانت تعلن وتتوقع الانتصار الحتمي للشيوعية عبر العالم ، إلا أن هذا كان مجرد نبوءة وليس برنامجاً للغزو .

وكان ستالين معنياً بمستقبل القوة السياسية لروسيا الأم أكثر من انشغاله بتحقيق الحلم الماركسي ، وعلى هذا فقد ترتب على تصور ترومان سياسات دفعته تلقائياً إلى اعتبار كل الحكومات والأحزاب غير الموالية كأعداء للولايات المتحدة ، كما جعلته يطابق بين الاشتراكية والشيوعية ، واعتبر كل الحكومات والأحزاب السياسية المعادية للشيوعية كأصدقاء وحلفاء بما في ذلك الديكتاتوريات والملكيّات الإقطاعية ، وهكذا أدخل مفهوم العالم الحر الدول التي تعادى الشيوعية رغم طابعها المعادى للديموقراطية^(١) .

ويقدر بعض المؤرخين أنه من الممكن اعتبار أن الحزب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد بدأت يوم وفاة روزفلت^(٢) . وفي الوقت الذي تقلد فيه ترومان منصبه كان من الواضح أنه يتطلع إلى أن يصوغ العالم وفقاً للشروط الأمريكية ، وقد أسر لأحد زوّاره : « إن الروس يجب أن يوضعوا في أماكنهم ، وإن على الولايات المتحدة حيثئذ أن تأخذ القيادة في إدارة العالم بالطريقة التي يجب أن يدار بها »^(٣) . كما كان ترومان يرى العالم مقسماً إلى نوعين من الرجال : الشيوعيين والمعادين للشيوعية ، وأن هؤلاء الذين يعارضون لا بد أن يكونوا شيوعيين

(١) Warburg, James, "the us in the Postwar world: A Critilal Appraias-

(٢) Schurman. "the Logic of world pawer" op. cit., p. 76. op. cit. pp. 53-54

(٣) Harowitz, Dawid. " Belican Book, 1969, p. 301 "From Yalta to Vietnam

والعكس صحيح . وهكذا قسّم العالم إلى معسكرين : العالم الذى تسيره الديمقراطية . ونعم ننتى تحكمه انشمولية^(١) .

ومع تولّى ترومان للرئاسة تغيرت الصيغة التى كانت تحاول المواءمة بين المصالح الوطنية والدولية والتى حاول روزفلت تطبيقها ، كما كان ترومان قومياً حاداً الطباع ، وكان يكره النازيين والشيوعيين بحقد متساوٍ وقال علانية : إنه يودّ لو دمر بعضهم بعضاً^(٢) . كما قد قيل عنه : « إن هتلر ليس فى قبره ، فقد استبدل ترومان به ستالين » .

وهكذا وفى تقدير بعض المؤرخين تصور الروس أنفسهم مواجهين بقيادة أمريكية حديده وغير صديقة ، مستعدة لأن تنهى تحالف الحرب وأن تستخدم ضغوطاً علنية ضدّ حلفائها القدامى بمجرد انتهاء الحرب عملياً ، بل وأن تعمل على تجريد الاتحاد السوفيتى من كعاسه خلال الحرب ، وأكثر من هذا أن تعوق إعادة بناء اقتصاده^(٣) .

المسألة البولندية وتأثيراتها :

ظلت المشكلة لبولندية بلا حلّ حتى وفاة الرئيس روزفلت ، ولم يكن خليفته ترومان يشترك فى مناقشات السياسة الخارجية حين كان نائباً للرئيس ، ومع هذا فقد تقدّم إلى اتخاذ عدد من القرارات خلال الأسابيع الأولى من ولايته ، وصاغت هذه القرارات تصوراتها الخاصة عن الاتحاد السوفيتى وسلوكه ، وكذلك تصورات الرجال الذين استشارهم خلال هذه الأسابيع ، وكانت من المشاورات الحاسمة التى

(Ibid, p. 99.

Schurmann, "The logic of world power" op. cit. p. 97.

Ibid,

(٢)

(٣)

جرت في اجتماعه في ٢٠ إبريل سنة ١٩٤٥ مع عدد من مستشارية للتشاور حول الموقف الذي سيتخذه عند لقائه بمولوتوف وهو في طريقه لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو وكان من أبرز الآراء التي قبلت وأكثرها تأثيراً آراء السفير هاريمان . والى دارت حول ما أسماه « الغزو الروسي البربري لأوروبا » .. وفي هذا الاجتماع قال هاريمان : إنه يعتقد أن الاتحاد السوفيتي له سياستين يظن أنه يستطيع اتباعهما في وقت واحد : الأولى هي سياسة التعاون مع الولايات المتحدة ، والأخرى سياسة مدّ النفوذ السوفيتي على الدول المجاورة خلال عمل منفرد ، وأشار إلى أن استعداد الولايات المتحدة للتعاون قد أسبىء فهمه في موسكو عن طريق عدد من معاوني ستالين ، الذين يعتقدون أن الحكومة السوفيتية تستطيع أن تفعل أى شيء ترغب فيه دون أن تدخل في أى متاعب مع الولايات المتحدة . وقال : إنه يعتقد أن الحكومة السوفيتية تحتاج إلى مساعدتنا كثيراً لتحقيق إعادة البناء ، وإنه يشعر أنه ليس هناك ما تحسره الولايات المتحدة إذا ما وقفت بصرامة في حل المشكلات ذات الأهمية الحقيقية لنا ، ثم ركّز على تدهور العلاقات منذ مؤتمر يالتا^(١) .

وفي اللقاء الذي تمّ بين ترومان ومولوتوف في ٢٣ إبريل سنة ١٩٤٥ سلّم ترومان مذكرة إلى مولوتوف موجهة إلى ستالين جاء فيها :

« إنه قد تمّ الاتفاق في يالتا الذي اشترك فيه الرئيس روزفلت عن الولايات المتحدة على الاعتراف بالحكومة المؤقتة التي تعمل الآن في بولندا من أجل إقامة حكومة جديدة للوحدة الوطنية ، عن طريق التشاور بين الحكومة المؤقتة في وارسو والقادة البولنديين الديمقراطيين من بولندا ومن الخارج . وفي رأى حكومة الولايات المتحدة أن تطبيق قرارات القرم لا يمكن أن يتم إلا عن طريق استدعاء مجموعة من

القادة الديمقراطيون البولنديين للتشاور معهم في موسكو. ولا تستطيع حكومة الولايات المتحدة أن تكون طرفاً في أي أسلوب للتشاور مع القادة البولنديين لا ينتج عنه إقامة حكومة جديدة مؤقتة للوحدة الوطنية تمثل بشكل حقيقي العناصر الديمقراطية للشعب البولندي»^(١). وبعد ٢٤ ساعة من تسلّم ستالين للرسالة أجاب في ٢٤ إبريل سنة ١٩٤٥ بالآتي :

« .. إنه يبدو أنكم لا توافقون أن الاتحاد السوفيتي له الحق في بذل الجهود لكي تقوم في بولندا حكومة صديقة تجاه الاتحاد السوفيتي ، وأن الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يوافق على أن تقوم في بولندا حكومة معادية له ، وهو أمر يقوم على أساس الدم السوفيتي الذي أريق من أجل تحرير بولندا . ولا أعرف إن كان في اليونان حكومة تمثيلية حقاً أو إن كانت الحكومة في بلجيكا ديمقراطية فعلاً ، ولم يتم التشاور مع الاتحاد السوفيتي حين أقيمت هاتان الحكومتان ، ولا يدعى الاتحاد السوفيتي التدخل في هذه الشؤون باعتبار أنه يفهم أهمية اليونان وبلجيكا من أجل أمن بريطانيا . وليس واضحاً لماذا حين تناقش المشكلة البولندية فإنه لا يراد أن يؤخذ في الاعتبار مصالح الاتحاد السوفيتي من وجهه نظر أمنه »^(٢)

ويلاحظ على رسالة ستالين - مثلاً فعل في رسالته السابقة إلى روزفلت - تذكيره بعنصر الأمن السوفيتي ، وضرورة تأمين نظام صديق للسوفيت في بولندا ضماناً لذلك ، وموازيًا لذلك يقرّ ستالين بمراعاته للمصالح الغربية وعدم تدخله فيها . وقد استسلمت ألمانيا في ٨ مايو سنة ١٩٤٥ وتحرك مؤتمر سان فرانسيسكو نحو اتفاق حول ميثاق الأمم المتحدة ، وأكد السوفيت للولايات المتحدة أنهم سوف

Ibid, p. 81.

(١)

Ibid, p. 82.

(٢)

يدخلون الحرب ضدّ اليابان للمساعدة على إنهاء الصراع . وبرغم ما أحدثته هذه التطورات من ابتهاج فقد شعر ترومان أنه لم يحصل على إجابات مرضية حول مشكلات مثل بولندا وحكومات شرق أوروبا والشرق الأقصى . ولذلك فكّر ترومان في ضرورة الاجتماع مع ستالين لمناقشة هذه المشكلات . ولتمهيد الطريق وتغيير المناخ طلب ترومان من هارى هوبكنز السفر إلى موسكو للتباحث حول المشكلات الرئيسية مع القيادة السوفيتية . وكان هوبكنز وثيق الصلة بروزفلت خلال الحرب كمستشار لروزفلت في السياسة الخارجية . وتمتّع بعلاقات طيبة مع السوفيت وبرغم مرض هوبكنز الشديد فإنه وافق على القيام بهذه المهمة . وقد بدأ هوبكنز الاجتماع بستانين بالتذكير بالمناخ الطيب الذى كان يسود رأى العام الأمريكى تجاه الاتحاد السوفيتى منذ شهرين فقط . والتأييد الكامل الذى كانت تلقاه سياسات الرئيس روزفلت تجاه الاتحاد السوفيتى ، غير أنه يريد أن يذكر فى نفس الوقت أن هذه الملايين من الشعب الأمريكى التى آيدت سياسات روزفلت مترعجة بشكل خطير من اتجاه العلاقات مع الاتحاد السوفيتى : ممّا أحدث خلال الأسابيع الستة الأخيرة تدهوراً فى موقف الرأى العام بشكل يؤثر عكسياً على العلاقات بين البلدين . وردّ ستالين بأن السبب فى الفشل فى الوصول إلى اتفاق حول بولندا هو رغبة الاتحاد السوفيتى أن يكون له علاقات صديقة مع بولندا ، إلا أن بريطانيا تريد إحياء الحزام الصحى ، ثم أثار هوبكنز مسألة اجتماع ستالين وترومان لمناقشة حل المشاكل الناجمة عن الحرب فى أوروبا ووقت ومكان هذا الاجتماع . وردّ ستالين بأنه قد أجاب فعلاً على الرئيس ترومان فيما يتعلق بمكان الاجتماع واقترح برلين* . وفى

* تم هذا الاجتماع بالفعل فى بوتسدام فى يولية - أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وفيه وقع ستالين وترومان ورئيس الوزراء البريطانى الاتفاقات النهائية ودعوا إلى مجلس لوزراء الخارجية لتنفيذ الاتفاقات التى تم الوصول إليها فى =

اجتماع هوبنكنز الثاني مع ستالين تحدث ستالين عن شعور الاتحاد السوفيتي بالقلق إزاء تغير الاتجاه في حكومة الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفيتي ، وأن هذا الفتور قد حدث بعد أن أصبح واضحاً هزيمة ألمانيا ، وأن الروس يقولون : إن الروس يعودوا مطلوبين ولم تعد حاجة إليهم . وأعطى على ذلك عدة أمثلة :

(أ) دعوة الأرجنتين لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو بشكل معارض لاتفاق يالتا ، والذي قرر أن الدول التي تدعى لحضور المؤتمر هي فقط التي أعلنت الحرب على ألمانيا .

(ب) مسألة التعويضات وإصرار الولايات المتحدة على دعوة فرنسا ، على عكس ما اتفق عليه في يالتا التي دعت فقط القوى الثلاث .

(جـ) اتجاه الولايات المتحدة نحو المشكلة البولندية ، فاتفق يالتا يقول : إن الحكومة البولندية القائمة يجب إعادة تشكيلها . وإن أى منطق سليم يفهم منه أنها يجب تشكل أساس هذا التشكيل .

(د) الأسلوب الذي أوقف به نظام الإعارة والتأجير ، وقال إنه إذا كانت الولايات المتحدة غير قادرة على أن تمتد الاتحاد السوفيتي بالمزيد وفقاً للإعارة والتأجير فهذا شيء ، ولكن الطريقة التي تم بها ذلك كانت غير موفقة وفي غاية القسوة^(١) .

= المؤتمر ووضع الاتفاقات النهائية للسلام مع إيطاليا ورومانيا وبلغاريا والمجر وفنلندا ، كما كان عليه أن يعالج مشاكل تتعلق بالمشاكل الإقليمية التي تقوم في معظم أوروبا . وقد أصبح بروتكول بوتسدام الإطار الفعلي لبناء ما بعد الحرب . وكان عدم تجديده والاضطرار إلى الاتفاق حول مثل هذه المسائل الأساسية كبولندا وألمانيا دلالة على الصعوبة التي واجهها الثلاثة الكبار في الوصول إلى تسوية . وقد كان بوتسدام هو مؤتمر القمة الأخير الذي سيلتقي فيه قادة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لحقبة قادمة ..

وأضاف ستالين : « إنه إذا كانت الحكومة السوفيتية قد تلقت تحذيراً سليماً فلم يكن لينشأ شعور كهذا ؛ ذلك أن مثل هذا التنبيه هام بالنسبة للاقتصاد السوفيتي القائم على التخطيط »^(١) .

العلاقات الاقتصادية :

كانت العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة عقب إنتهاء الحرب مباشرة ، وبشكل خاص توقع الاتحاد السوفيتي مساعدات اقتصادية في شكل قروض من الولايات المتحدة لإعادة بناء اقتصاده لما بعد الحرب ومدى استجابة الولايات المتحدة لهذا التوقع ، كانت من العوامل التي أثرت في الاتجاه الذي أخذته علاقاتها نحو الحرب الباردة .

وبدأة فإن القادة الأمريكيين تبّنوا اتجاهاً إيجابياً بشكل عام نحو إعادة بناء اقتصاديات العالم ، واعتبروا ذلك هدفاً هاماً إذا ما أريد تصفية الظروف التي أدت إلى الحرب ، وبالنسبة لهم فإن توافق الركود العالمي مع بروز الديكتاتوريات لم يكن مجرد مصادفة ، ومن ثمّ كان الإجماع على أن الركود الاقتصادي قد أدى إلى الحرب .. وفي تخطيطهم لتفادي صراعات أخرى قضى الرسمىون الأمريكيون وقتاً طويلاً في التفكير حول الإجراءات الاقتصادية التي يمكن اتخاذها لمنع ظهور الركود الاقتصادي ، وكما عبّر وزير الخارجية الأمريكي Hall عام ١٩٤٤ ، « إن عالماً من الخراب الاقتصادي سوف يكون أرضاً خصبةً للمتاعب والحروب » . والواقع أن التخوف أو مقاومة الركود الاقتصادي من الجانب الأمريكي لم يكن مدفوعاً باعتبارات أخلاقية أو إنسانية أو للحفاظ على سلام العالم فحسب ، بل كان مدفوعاً

ربما بالدرجة الأولى - بما يمكن أن يحدثه من ركود اقتصادى بعد الحرب فى الولايات المتحدة نفسها ، الأمر الذى زاد من اهتمام الرسميين الأمريكين بالسياسات الاقتصادية الخارجية بعد الحرب ، ولوعيمهم الكامل أن السياسة الاقتصادية الجديدة New Deal لم تحل مشكلة البطالة فى زمن السلم ، فإن روزفلت ومساعديه تطلّعوا إلى الأسواق الخارجية وإلى استيعابها لكميات كبيرة من السلع التى يمكن أن تنتج ، إذا ما أريد المحافظة على مستويات التوظيف بعد توقف القتال . وكما فسرهما كوكس مستشار الرئيس بأن اتجاه الحكومة السوفيتية إلى استيراد المواد مباشرة من الولايات المتحدة سوف يجعلها تستورد بلا شك الآلات اللازمة لإنتاج السلع الاستهلاكية لسوقها الواسعة^(١) .

وحقيقة فقد كان أثر الحرب العالمية الثانية قاسياً على الروس . ففضلاً عن ملايين الموتى دُمّرت حوالى ١٧١٠ مدينة ، ٧٠,٠٠٠ قرية ، وكذلك ٣٠,٠٠٠ مؤسسة صناعية ، ٤٠,٠٠٠ ميل من السكك الحديدية ، وفى عام ١٩٤٥ بلغ الإنتاج الزراعى السوفيتى نصف ما كان عليه عام ١٩٤٠ ، وسجلت دراسة لوزارة الخارجية الأمريكية أن أكثر من ١٦ بليون دولار قد فقدت فى هذه الحرب^(٢) . وللمساعدة فى إصلاح هذا الخراب الشامل تطلّعت الحكومة السوفيتية بشدة إلى الولايات المتحدة ، وأبلغ السفير الأمريكى هاريمان وزير خارجيته فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ « أن مسألة إعادة البناء تعتبرها الحكومة السوفيتية تالية للحرب وأكثر المشكلات السياسية والاقتصادية التى تواجههم » - وقال هاريمان عند وصوله إلى

(١) Gaddis, "The U.S. and the origins of the cold war" op. cit., pp. 184. 5.

(٢) Patrison, Tolyor, "Soviet American Confrontation, Postwar of the cold war" construction and the origins

Baltimore and London, 1974, p. 34.

موسكو في أكتوبر سنة ١٩٤٣ سفيرا لبلاده : « إن المساعدة الأمريكية في إعادة بناء الاقتصاد السوفيتي تستحق أقصى اعتبار ممكن في هذا الوقت » .

وقد بدأ الاتحاد السوفيتي يثير هذه المسألة مع الأمريكيين عقب مؤتمر طهران في نهاية ١٩٤٣ ، غير أن السفير هاريمان في معالجته لهذه المسألة ومع تأكيده لحيويتها بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، بدأ يضع الأساس الذي يمكن أن تقام عليه هذه المساعدة ، وهو ربطها بالاعتبارات السياسية حيث نصح بلاده « بأن مساعدة روسيا هو عنصر يجب أن يتكامل مع نسيج علاقاتنا أكثر من أن يعالج بشكل مستقل ، أو وفقاً لاعتبارات تجارية أو اقتصادية بحتة » وأنه إذا كانت الولايات المتحدة ستقدم قرضاً للاتحاد السوفيتي فإن هذا القرض يجب أن يخدم هدفين : « توسيع تجارة الولايات المتحدة وبذلك تتفادى ركود ما بعد الحرب ، ثم التأثير على العلاقات العامة مع الروس » ، وأن مثل هذا القرض قد يشجع الروس على التعاون معنا في المشكلات الدولية وفقاً لمستوياتنا » ، ثم وضعها بشكل أكثر تحديداً بقوله في مارس سنة ١٩٤٤ : « إنني متأثر باعتبار أن المساعدة الاقتصادية هي أحد

« اختلف جورج كينان مستشار السفارة الأمريكية حينئذ مع سفيره هاريمان حول تفاؤله بشأن العلاقات التجارية مع السوفيت ومستقبلها ، فقد نظر كينان إلى مسألة التجارة مع الروس من زاوية أكثر تعقيداً . وهي طبيعة النظام السوفيتي ، حيث قدر أنه لن يعتمد على التجارة الخارجية في فترة ما بعد الحرب ، ولن يتخلى عن أى شيء حيوي للحصول على هذه التجارة وذهب إلى أن حصول روسيا على هذه المساعدات لن يجعلها ممتنة للولايات المتحدة بل ربما اعتبرت أن الأمريكيين إنما يساعدون أنفسهم . وذهب كينان إلى أبعد من هذا . حيث اعتبر أنه إذا أصبح جزء كبير من الاقتصاد الأمريكي معتمداً على التجارة السوفيتية فإن الروس لن يردّوا في استغلال هذا الاعتماد بشكل ضار بالولايات المتحدة ..

راجع :

Kennan, George, "Memoirs: 1925-1950".
Boston (Little Brown), 1967, pp. 503. 531.

أكثر الأسلحة فعالية التي تحت تصرفنا للتأثير في الأحداث الدولية في الاتجاه الذي نرغبه ، وتفادى تطور مجال نفوذ الاتحاد السوفيتي حول شرق أوروبا والبلقان ، . غير أن وجهة النظر تلك - في استخدام المساعدة الاقتصادية لخدمة اعتبارات سياسية - قد لقيت بعض المعارضة التي عبر عنها مورجانتو عضو الحكومة وخاصة بعد أن قدم مولوتوف في ٣ يناير سنة ١٩٤٥ طلباً رسمياً لقرض قيمته ٦ بليون دولار ، فقد عارض مورجانتو الاتجاه إلى استخدام القرض كأداة سياسية ، وأوصى بمنح قرض قدره ١٠ بليون دولار ، واعتبر أن هذا « سيكون خطوة كبيرة تمكن الرئيس روزفلت من توفير ٦٠ مليون وظيفة في فترة ما بعد الحرب » غير أن روزفلت اتفق مع وجهة نظر وزارة الخارجية الأمريكية على الأقل في عدم إثارة مسألة القرض في مؤتمر يالتا ، وعبر عن موقفه لمورجانتو بقوله : « أظن أنه من المهم جداً أن لا تعطيهم أى وعود عن مساعدة مالية حتى تحصل على ما نريده » وكان تفكيره قائماً على أساس أن استمرار تطلع السوفيت للمساعدة سوف يحقق مزيداً من المزايا السياسية أكثر من إعطائها فعلاً^(١) .

وبتولى إدارة ترومان واعتماده الزائد على مستشاريه وخاصة هاريمان تأكدت وجهة النظر القائلة بربط تقديم القرض بالاعتبارات السياسية ، ونقل ترومان هذا الموقف في لقائه العاصف مع مولوتوف في ٢٣ إبريل سنة ١٩٤٥ . وحذره من أن سلوك الاتحاد السوفيتي الدولي سوف يؤثر في قرارات الولايات المتحدة حول مساعدة ما بعد الحرب ، خاصة وأنها تتطلب موافقة الأجهزة التشريعية^(٢) . كما انتقلت الإدارة الأمريكية خطوة أخرى في هذا السيل بناء على توصية هاريمان ، حيث

(١) Patrson, "Soviet American confrontation", . op. cit., pp. 39-49.

Ibid, p. 41.

(٢)

اقترح مع بداية عام ١٩٤٧ أن تبلغ واشنطنون موسكو أن الإنتاج البترولي الذي يشحن إلى موسكو وفقاً لنظام الإعارة والتأجير سوف يحظر إن لم يوقف الروس التغلغل في صناعة البترول الرومانية .

وساعد هاريمان بالفعل في صياغة القرار الذي اتخذ في ١١ مايو ١٩٤٥ بعد ثلاثة أيام من يوم النصر - للخفض الجذري لمعونة الإعارة والتأجير وهو ما اعتبره السوفيت عملاً عدائياً .

غير أن هاريمان الذي كان داعية لربط المساعدة الاقتصادية بتنازلات سوفيتية ، وبرغم أن هذا الرأي كان ما يزال سائداً ، وخاصة بين رجال الكونغرس ، بدأ يشعر ويشك بشكل متزايد أن فعل هذا الضغط الاقتصادي سوف ينتج عنه نتائج دبلوماسية ملائمة واعترف هاريمان بأن « سياسة أمريكا الاقتصادية تجاه الاتحاد السوفيتي قد زادت من سوء تفاهمها ، وزادت من اتجاه الروس في اتخاذ أجراً القرارات » . وأضاف هاريمان : « إن سياستنا في الإقراض قد دفعهم من غير شك إلى شدّ الأحزمة فيما يتعلق بتحسين مستويات المعيشة لشعوبهم ، وربما ساهمت في سيماياتهم في البلدان التي احتلها الجيش الأحمر » وأضاف هاريمان : « إن الروس قد عملوا وفقاً لخطط طويلة الأجل ، وأنهم قد صاغوا هذا البرنامج بدون قروض أمريكية » . وهكذا كان تقييم هاريمان الأخير هذا يوحي بأن سياسة استخدام القوة الاقتصادية للحصول على تنازلات سياسية لم تنجح ..^(١) .

ومن المفارقات التي ارتبطت بموضوع العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مع نهاية الحرب ولما بعدها ، أن كلاً من الرغبة السوفيتية في القروض الأمريكية ، واستعداد رجال الأعمال الأمريكيين وجانب من الرسميين

للنظر في ذلك ، كان قائماً على نظرة مشرّكة تعتقد بأنه بعد الحرب فإنه الولايات المتحدة سوف تمر بفترة ركود . وقد نظر كلّ جانب إلى الأمر من وجهة نظره ودوافعه الخاصة .. فالنظرية الماركسية تلقن أتباعها بأن الحروب تسبب للمجتمعات الرأسمالية تناقضات خطيرة بعد انتهائها ، وقد تسبب في تصدّعها ؛ ولذلك فإن الصناعات الأمريكية لكي تستمر فإن عليها أن تتطلّع إلى الأسواق الخارجية .. أما رجال الأعمال الأمريكيون فقد توقعوا نفس الشيء ، ولكن من زاوية أن سياسة New Deal للرئيس الأمريكي روزفلت لم تستطع أن تحل مشكلة البطالة في زمن السلم ، وأنه بعد توقف الإنتاج الحربيّ الذي كان دافعاً للإنتاج ، فإن الأسواق الأجنبية ربّما كانت الوسيلة الوحيدة لتفادي كارثة ركود أخرى^(١) .

إلا أن التطور قد أثبت خطأ النظريتين . ولكن قبل أن يتم ذلك وثبت التطورات فساد هذا الرأي . فإن الصعاب السياسية التي واجهت العلاقات بين البلدين تدخلت لكي تغيّر من الإطار الكامل الذي نوقش فيه موضوع القرض السوفيتي .

(١) Aulam. Adam. "Expansion and Coexistence 1917-1967". op. cit, p. 410.

مرحلة جديدة في الحرب الباردة

سياسة الاحتواء - مقدماتها الأيديولوجية -

المطالب السوفيتية تجاه تركيا وإيران -

مشروع مارشال - حلف الأطلسي

قدم جورج كينان الخبير الأمريكي القديم والقدير ومستشار الخارجية الأمريكية في الشؤون الروسية ، قدم الأسس الأيديولوجية للسياسة الأمريكية الجديدة تجاه الاتحاد السوفيتي ، وهي السياسة التي ارتبطت بإدارة ترومان وعرفت بسياسة الاحتواء Containment وقد قدم كينان هذه الأسس في وقت كانت الإدارة الأمريكية والخارجية الأمريكية مستعدة ومحتاجة إلى الأساس الثقافي والفكري لعناصر سياستها الجديدة في التشدد مع الاتحاد السوفيتي ، طاوية لصفحة عهد روزفلت وفكره القائم على العمل على ربط الاتحاد السوفيتي بالنظام الدولي الجديد لما بعد الحرب ، واعتقاده أن هذا لن يتحقق إلا بنوع من التعاون بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

وقد ضمن كينان أفكاره عن الاتحاد السوفيتي من حيث طبيعة نظامه واتجاهاته الدولية والسياسات التي يجب أن تنتهجها الولايات المتحدة إزاءه ، ضمنها في وثيقتين : الأولى هي البرقية المطولة التي بعث بها إلى وزارة الخارجية الأمريكية في فبراير عام ١٩٤٦ حين كان يعمل مستشاراً وقائماً بالأعمال في السفارة الأمريكية في

موسكو^(١) والثانية هي مقالته لشهيرة في مجلة « الشؤون الدولية » في يوليو ١٩٤٧ :
The Sources of Soviet Conduct والتي وقّعها بتوقيع مجهول هو^(٢) :
 في برقيته إلى وزارة الخارجية كرّر كينان ما يعتقد ترومان أن السياسة المتشددة
 فقط هي التي يمكن أن تكون فعالة نحو الاتحاد السوفيتي ، فقد اعتبر كينان أن
 الاتحاد السوفيتي الذي لا يتقبل وقائع المنطق والعقل فإنه شديد الحساسية لمنطق
 القوة ، واعتبر أن الولايات المتحدة « سوف تظل لفترة طويلة تجد الروس قوماً من
 الصعب التعامل معهم ، ولا يعني هذا أنهم سيشرعون في برنامج حياة
 أو موت للإطاحة بمجتمعنا في وقت محدد ، فذهب حتمية سقوط الرأسمالية له معنى
 ومغزى ، ولا محل للتسرع حوله . وإن قوى التقدم يمكن أن تأخذ وقتها في الإعداد
 للسقوط النهائي للرأسمالية ، أما الأمر الحيوي في التفكير السوفيتي « فهو وطن
 الاشتراكية » وأنه القوة التي تم الفوز بها للاشتراكية في شخص الاتحاد السوفيتي ،
 ولهذا فإنه يجب الدفاع عنها من كل الشيوعيين في العالم بشكل ينمي مصالحها
 ويحاصر أعداءها ، أما دفع المشروعات الثورية المغامرة في الخارج والتي يمكن أن
 تسبب الضيق للسلطة السوفيتية بأي شكل فإنها لا مبرر لها ، بل ربما كانت عملاً
 من أعمال الثورة المضادة ، فقضية الاشتراكية هي تأييد وإنماء القوة الشيوعية كما
 تحدّد في موسكو^(٣) .

وانتهى كينان في تحليله إلى أنه « لا أمل في إقامة علاقات طبيعية مع هذه

(١) Kennan. "Memoirs: 1925-1950". op. cit., pp. 68-69. Op. 229-93.

(٢) Kennan, George, "The Sources of Soviet conduct" Foreign Affairs, July, 1947, pp. 575-582.

Ibid.

(٣)

الديكتاتورية السوداء، والتي تملكها أشباح التاريخ الروسي». وبينما سيحاول تورمان أن يفرض تراجعاً للنفوذ السوفيتي فقد حاول كينان إثبات أن السياسة الصحيحة هي منع توسعه؛ فالسوفيت يجب أن يقاوموا في كل النقاط، ومثل هذه المقاومة فيما اعتقد كينان سوف تشجع قوى التصدع داخل الدولة السوفيتية. وهنا قلب كينان الماركسية على رأسها؛ حيث اعتبر أنه ليست الرأسمالية وإنما الماركسية هي التي تحوي بذور فنائها «في غياب ولاء شعبي حقيقي للنظرية فإنه نظامها الداخلي سوف يتعرض للضغط بالتوسعات الأخيرة»^(١).

وقد جاء رد الفعل في واشنطن لهذا التفسير وكتعبير كينان نفسه ليس أقل من رد فعل مثير. فقد قرأه الرئيس ترومان وأرسلت وزارة الخارجية شكراً إلى كينان، كما أعاد وزير الأسطول فورستال طباعته وأمر بقراءة البرقية على مستويات مختلفة، وتكون شعور عام بأن ما قدمته البرقية هو ما يتطلعون إليه، وأن هذا هو تقدير الموقف الذي يحتاجونه؛ ولهذا يعتبر البعض أن هذه الوثيقة يمكن أن تؤرخ لسياسة أمريكية جديدة تجاه الاتحاد السوفيتي^(٢).

أما مقالته عن مصادر السلوك السوفيتي فقد كانت أبعد أثراً حيث تحدث فيها بالتحديد عن الأسلوب الأمريكي في مواجهة هذه السلوك، وحدد هذا الأسلوب بسياسة «الاحتواء». وقد اعتبر كينان في مقالته أن مصادر السلوك السوفيتي التي تتحكم في توجيه سلوك الاتحاد السوفيتي ثابتة لا تتغير، وأنها تقوم على الاعتقاد في العداء الكامن بين الرأسمالية والاشتراكية. وهذا المفهوم يعني أنه ليس على الجانب الروسي أية افتراضات لوحدة في الأهداف بين الاتحاد السوفيتي وبين الشعوب التي

Higgins, "the cold war", op. cit., p. 39.

ibid

(١)

(٢)

تعيش في ظل الرأسمالية ، وأنه إذا ما وضع السوفيت توقيعهم على أية اتفاقيات فإن هذا يجب أن ينظر إليه كمناورات تكتيكية مسموح بها في التعامل مع العدو . ولكن أساساً فإن العداء باقٍ وأنه من المسلّمات ، وعلى هذا اعتبر كينان أنه عندما يطلب السوفيت من الولايات المتحدة شيئاً فإن واحداً أو آخر من ملامح سياستهم يمكن أن يتراجع إلى المؤخرة مؤقتاً . وقد يجعل هذا بعض الأمريكيين يعتقدون أن السياسة السوفيتية قد تغيرت ، وعلى هؤلاء أن لا تخدعهم المناورات التكتيكية وأن هذه الصفات في السياسة السوفيتية - مثل المسلّمات التي صدرت عنها - هي صفات أساسية في الطبيعة الداخلية للسلطة السوفيتية ، وأنها سوف تظل ملازمة سواء أكانت في المقدمة أم في المؤخرة وذلك حتى تتغير الطبيعة الداخلية للسلطة السوفيتية ،^(١) .

ويستخلص كينان من ذلك أنه من الواضح أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتوقع في المستقبل القريب ، أو أن تتبع صداقةً سياسيةً مع النظام السوفيتي ، بل يجب أن تستمر في النظر إلى الاتحاد السوفيتي كمنافس لا كشريك في الساحة الدولية ، وأن تتوقع أن السياسات السوفيتية لن تعكس حُباً مجرداً للسلام والاستقرار ، أو أيّ اعتقاد حقيقي في إمكانية تعايش سعيد دائم بين الوطن الاشتراكي والرأسمالي ، ولكن يجب أن تتوقع ضغطاً حذراً ومستمرّاً تجاه تفتيت وإضعاف كل مظاهر نفوذ القوة المنافسة .

وينتهي كينان من هذا إلى تحديد مايراه لكي تواجه الولايات المتحدة به هذه السياسات فيقول : « في مثل هذه الظروف ، فإنه من الواضح أن العنصر الرئيسي

(١) Kennan, George", American Diplomacy, 1900-1950", Mentor Book, 1964. pp. 89-106.

لأية سياسة للولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفيتي ، يجب أن تكون سياسية بعيدة المدى ، صبورة ولكن حازمة ، واحتواءً يقطعاً للاتجاهات والميول الروسية التوسعية ، « ويضيف » : « إن هذا سوف يتطلب من الولايات المتحدة الدخول بثقة في سياسة من الاحتواء الصارم ، Firm Containment تستهدف مواجهة الروس بقوة مضادة لا تتغير عند كل نقطة يدون فيها علامات على تقديمهم لمصالحهم على مصالح عالم سلمى ومستقر »^(١) .

على أية حال فإنه على الرغم من الارتباط الشديد الذي قام بعد هذا بين فكر كينان - وبوجه خاص ما جاء في مقالته - وبين سياسة الاحتواء التي اتبعتها وشرعت فيها إدارة ترومان ، فإنه من الملاحظ أن ما ذكره كينان لم يكن يمثل البذور الرئيسية لسياسة الاحتواء ، ولكن ما فعله هو أنه قدم تلخيصاً وأساساً ثقافياً للسياسة والاقتراضات التي قامت عليها ، وعلى هذا فإن مقالة كينان قد أعلنت ما كان يتطور بالفعل داخل إدارة ترومان منذ نهاية الحرب^(٢) .

المطالب السوفيتية في تركيا وإيران وردد الفعل الأمريكية

كانت الاتجاهات والنوايا السوفيتية التي بدت بعد انتهاء الحرب مباشرة تجاه كل من تركيا وإيران ، ثم تجددت الثورة الشيوعية في اليونان ، من العوامل التي زادت من حدة اتجاهات السياسة الأمريكية ، والتي كانت محملة بالفعل بالغضب من التمسك

Ibid

(١)

Nathan, James & Kaliver, "us Foreign Policy and world order", op. cit. p. 9. (٢)

السوفيتي بثبت نفوذه في شرق أوروبا ، تضافرت هذه العوامل لكي تدفع إدارة ترومان إلى تبني سلسلة من الإجراءات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي استهدفت احتواء المد السوفيتي .

فقد كانت تركيا وإيران أول الدول التي لم تقع تحت الضغط المباشر للجيش الأحمر تتجه إليها المطالب السوفيتية ، ويبدو أن ستالين كان مقتنعا أنه بسبب توضحيات الحرب والموقع الجغرافي ، فإن لروسيا بعض الحق في بترول إيران وفي الإشراف على المضائق ، وعلى هذا ففي بداية أكتوبر عام ١٩٤٥ طلب الاتحاد السوفيتي قاعدة بحرية في الدردنيل ، واستعادة اثنين من الولايات التركية إلى روسيا ، أما إيران فإن الضغط عليها بدأ في بداية عام ١٩٤٦ حين رفضت روسيا سحب قواتها التي كانت هناك منذ عام ١٩٤١ باتفاق مع بريطانيا أما في اليونان فإن حكومتها كانت تحارب حركة شيوعية منذ عام ١٩٤٤ تجددت مرة أخرى عام ١٩٤٦ بتأييد من جيرانها الشيوعيين في الشمال ، يوغوسلافيا وبلغاريا ، ولم يكن التأييد السوفيتي واضحا* .

* خلال المرحلة الأولى من الحرب الأهلية عام ١٩٤٤ راعى ستالين بوفاء اتفاهه مع تشرشل ، والذي كانت اليونان وفقا له جزءا من النفوذ البريطاني وعلى هذا لم يتلق الشيوعيون اليونانيون أية مساعدة في صراعهم المسلح ضد الحكومة . وقد اتخذ قرار بتجديد الحرب الأهلية اليونانية عام ١٩٤٦ وهو ما اعتقد البعض أنه لم يكن يتخذ بدون علم السوفيت ، وهو ما أثار الأزمة التي نتج عنها إعلان مبدأ ترومان ، غير أن النقطة الرئيسية في هذا الخصوص هي ما إذا كانت الأزمة قد أثارها ستالين ، والواضح أنه برغم الضعف الذي ألم بالحكومة الملكية الموالية للإنجليز ، والإنجليز أنفسهم في اليونان ، قد شجع الشيوعيين على الاستفادة من هذا الطرف فإن ستالين لم يظهر حاسما لقضيتهم ، فإن كان ثمة وعد بشكل غامض بالمساعدة إلا أن أي تأييد بالسلاح لم يصل من الاتحاد السوفيتي :

وقد جاء ردّ الفعل الأمريكي للمطالب السوفيتية في تركيا وإيران تعبيراً مباشراً عن سياسة إدارة ترومان تجاه العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، وقدّر لهذه الاستجابة أن تؤثر بل وتصوغ شكل العلاقات بين القوتين لمدي حقبتين على الأقل .

فبالإضافة إلى البيانات الصارمة التي أصدرتها الولايات المتحدة بالاشتراك مع بريطانيا وتتضمن بشكل واضح أنها سيستخدمان القوة للدفاع عن إيران ، فقد كتب ترومان إلى وزير خارجيته جيمس بيرنز في يناير ١٩٤٦ معلقاً على السلوك السوفيتي تجاه الدولتين بقوله : « إنه مالم تواجه روسيا بقبضة حديدية ولغة قوية فإن حرباً أخرى سوف تحدث » وجاء الرد السوفيتي في نهاية مارس سنة ١٩٤٦ في إعلان بأن الجيش الأحمر سوف ينسحب خلال الأسابيع الخمسة أو الستة التالية أما في حالة تركيا فقد رفضت الحكومة التركية المطلب الروسي بالمشاركة في مسئولية الدفاع عن المضائق في تركيا ، أما الموقف في اليونان فإنه لم يكن قد وصل إلى درجة التأزم ، وكان يمكن تأجيل التصرف الأمريكي لفترة ما باعتبار أن الإدارة الأمريكية كانت تجرى إعادة تقييم للسياسة السوفيتية^(١) .

وقد أثبتت التطورات أن إعادة التقييم تلك كانت على درجة كبيرة من الأهمية والآثار ، باعتبار أن نتائجها كان سلسلة من التحالفات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وكان الأساس الذي صدرت عنه هو ما عرف بمبدأ ترومان .

= ويؤيد عدد من المحللين أن ستالين قد تمخّل بالفعل وكليّة عن الشيوعيين اليونانيين بسبب حساباته بأنهم لا يستحقّون ، وعدم ثقته التقليدية بالشيوعيين المحليين أو الحركات الشيوعية واحتمالات نجاحها ، كما أنه ربما قدّر بأن مساعدة الثوار اليونانيين سوف تثير الولايات المتحدة ..

راجع : Cavolcorssi, Peter, "world Politics since 1945", London, longman, 1968, P. 11.

Spanier, "American Foreign Policy" op. cit., pp. 30-31.

(١)

وتدرج الرد الأمريكي على السياسة السوفيتية سواء في أقطار أوروبا الشرقية أو نحو الأحزاب الشيوعية وخاصة في فرنسا وإيطاليا وكذلك في الضغط الذي تعرضت له تركيا وإيران ، تدرج هذا الرد عبر ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : هي التي ظهر فيها ما عرف بنظرية أو مبدأ ترومان ، وهو المبدأ الذي أراد أن يقن السياسة الأمريكية المقبلة لمواجهة ما اعتبره الأمريكيون التوسع السوفيتي في أوروبا .

المرحلة الثانية : مشروع مارشال الذي قصد به مواجهة ما تعرضت له اقتصاديات دول أوروبا من انهيار وآثارها على الأوضاع والهياكل الاجتماعية في تلك الدول .

أما المرحلة الثالثة فهي التي ظهرت فيها منظمة حلف شمال الأطلسي كمنظمة دفاعية وعسكرية للدفاع عن أقطار أوروبا الغربية .

مبدأ ترومان

في مارس عام ١٩٤٧ وجه ترومان رسالة إلى الكونجرس الأمريكي قال فيها بعد تحليله للموقف في اليونان : « إنني أعتقد أن سياسة الولايات المتحدة يجب أن تكون تأييد الشعوب الحرة التي تقاوم محاولات القهر سواء أكانت من خلال أقليات مسلحة أم ضغوط خارجية ، وأعتقد أنه يجب أن تساعد الشعوب الحرة على أن تصوغ بنفسها مصيرها الخاص وبطريقتها الخاصة ، وأعتقد أن أسلوبنا في الحياة يستند إلى إرادة الأغلبية ، ويتميز بالمؤسسات الحرة والحكومات التمثيلية والانتخابات الحرة ، أما أسلوب الحياة الآخر فهو يستند إلى إرادة الأقلية التي

تفرض بالقوة على الأغلبية ، وهي تعتمد على الرعب والقهر . . إن شعوب العالم الحرة تنظر إلينا لتأييدها والحفاظ على حريتها^(١) . وبعد أن ركّز ترومان على أثر انهيار اليونان على تركيا والشرق الأوسط وكذلك على أوروبا ، طلب من الكونجرس تخصيص ٤٠٠ مليون دولار لإمدادات اقتصادية وحرية لهذه الأقطار ، والتفويض بإرسال أفراد فنيين مدنيين وعسكريين لمساعدتهم . وقد جاء هذا الإعلان ليُمثل نقلةً ثوريةً في السياسة الخارجية الأمريكية من حيث إنها أخذت على عاتقها بشكل معلن قيادة وزعامة الغرب في احتواء النفوذ السوفيتي في هذا الوقت علّق السياسي الأمريكي المخضرم برنارد باروخ - بالقول : « حتى لا نخدع أنفسنا فإننا اليوم في قلب الحرب الباردة » .

وهكذا ففي جملة واحدة حدّد ترومان السياسة الخارجية الأمريكية لعشرين عاماً قادمة . على أن صدور مبدأ ترومان عام ١٩٤٧ لم يكن يعني أن الولايات المتحدة لم تبد اهتماماً بأوروبا قبل هذا التاريخ ، ففي منتصف عام ١٩٤٥ صرّح ترومان بتصريح دقيق حول السياسة الخارجية الأمريكية فقال : « نحن مرتبطون بإعادة بناء أوروبا ، ولن يكون هناك تحلٍّ عن ذلك هذه المرة » ، والملاحظة الثانية أن مبدأ ترومان قد صدر في وقت أبدى فيه السوفيت تفضيلاً للتصالح على المواجهة وهو ما انعكس في سلوك مولوتوف خلال مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو ، وفي قمة المؤتمر دوتّ قبلة مبدأ ترومان فبدت وكأنها إنذار لبقية أوروبا : إما أن تكون في الصف الأمريكي أو ضده الأمر الذي أنهى الابتسامات من وجوه أعضاء الوفد السوفيتي^(٢) . فسياسة الاحتواء إذن قد حدّدت قبل خطاب ترومان في

Rees, "the age of containment", op. cit.

Heggins "the cold war", op. cit., p. 45.

(١)

(٢)

الكونجرس ، إلا أنها لم تكن معروفة للرأى العام حتى مع أوائل عام ١٩٤٧ حيث لم يكن المجتمع الأمريكى شغوفاً بالإقدام على حملة ضد الشيوعية ولكى يحصل ترومان على مصادر اقتصادية وعسكرية وعلى ممارسة سياسة خارجية نشطة كان عليه أن يقنع أغلبية الشعب بما يتصوره عن واقع وخطورة التهديد السوفيتى ، وقد نجح ترومان فى هذا فأصبحت معاداة الشيوعية العلامة المميزة للحياة الأمريكية ، واعتمدت الحملة على المقلّعات التى صدر عنها مبدأ ترومان ، والتى قالت إن الثورات التى يلعب فيها الشيوعيون دوراً إنما هى ثورات مثارة من جانب الاتحاد السوفيتى كوسيلة لمدّ سلطته نحو السيطرة العالمية ، وثانياً ونتيجةً لذلك فإنه طالما أن هذا تهديد للولايات المتحدة فإنه يصبح من الضرورى أن تتدخل ضدّ مثل هذه الثورات (١) .

وقد كان من الطبيعى أن يلقى إعلان ترومان ردّ فعل حاد من جانب الاتحاد السوفيتى حيث علّقت صحيفة إزفستيا يوم ١٣ مارس سنة ١٩٤٧ « بأننا نشهد الآن تطفلاً جديداً للولايات المتحدة فى الشئون الداخلية للدول الأخرى لقد نمت ادّعاءات الأمريكين فى القيادة فى الشئون الدولية مع نمو شهية اللواثر الأمريكية . ولكن القادة الأمريكين فى الظروف التاريخية الجديدة فشلوا فى أن يدركوا أن الأساليب القديمة للمستعمرين والسياسة المحترفين أصبحت غير صالحة لهذا العصر ، ومقضيّاً عليها بالفشل ، وفى هذا يمكن الضعف الأساسى لمبدأ ترومان » (٢) .

(١) Haughton, Neol (editor), "Struggle Against, History, U.S. Foreign Policy in an age of Revolution" New York, 1968. p. 31.

(٢) Rupinstien, "the Foreign Policy of the soviet union", New York, Random House, 1960. p. 235

مشروع ماريشال

كان الإعلان عن مبدأ ترومان هو الفصل الأول في سياسة الاحتواء الأمريكية الجديدة ، غير أنه إذا كانت كل من تركيا واليونان قد شملتها إجراءات مبدأ ترومان فإن السياسة الأمريكية ما لبثت أن اعتقدت أن بقية أوروبا مازالت معرضة للخطر نتيجة لتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي نجمت عن الدمار الذي ألحقته الحرب بهذه المجتمعات . بل يبدو أنه بعد انتهاء الحرب لم يتم إلا القليل في إصلاح وإعادة بناء الطرق المهتمة والسكك الحديدية والقنوات كما أخذت البطالة تنتشر ، وعاش ملايين الناس وفقاً لنظام توزيع الغذاء بالبطاقات . وسياسياً كان حزبان على درجة كبيرة من التنظيم في أكبر قطرين أوروبيين وهما فرنسا وإيطاليا بنمو نفوذهما ، وجعلت هذه الظروف ونستون تشرشل يسائل نفسه في مايو ١٩٤٧ ما هي أوروبا الآن ؟ وأجاب : « إنها كوم من الحطام ومقبرة للموتى وأرض خصبة للطاعون والكراهية ^(١) » ، وفي زيارة للجنرال ماريشال لستالين في ١٨ أبريل سنة ١٩٤٧ أبدى ستالين لا مبالاة لما يحدث في ألمانيا ، الأمر الذي ترك انطباعاً عميقاً لدى ماريشال دفعه إلى الاعتقاد بأن ستالين وهو ينظر عبر أوروبا - خاصة في ظروفها الاقتصادية المنهارة - إنما يرى أن أفضل شيء لدفع المصالح السوفيتية ، هو ترك الأمور تذهب حتى الهاوية وإلى منحدر أبعد . وعلى هذا فبعد عودته من موسكو أصدر ماريشال تعليماته إلى هيئة التخطيط الجديدة لكي تجعل من مهمتها الأولى فحص استعادة أوروبا لصحتها والدور الذي يمكن أن تلعبه الولايات المتحدة في هذا

La-Queer, walter, "Europe Since Hitler" Penguin Book. 1972, p. 118. (١)

الخصوص^(١) . . .

وفي ٥ يونيو سنة ١٩٤٧ أعلن مارشال مشروعه في خطاب أمام جامعة هارفارد قال فيه : « إن سياساتنا - ليست موجهة ضد أى بلد أو نظرية ، إنما ضد الجوع والفقر والبؤس والحرب . . . أن أى حكومة على استعداد لأن تساعد في مهمة استعادة الصحة الاقتصادية سوف تجد منا كل تعاون ، ، وإن أى حكومة سوف تناور لوقف استعادة البلدان الأخرى لصحتها لا يمكن أن تنتظر منا أى مساعدة . وزيادة على ذلك فإن الحكومات أو الأحزاب السياسية أو الجماعات التي تسعى إلى استمرار البؤس الإنساني من أجل أن تستفيد من هذا سياسياً أو بشكل آخر ، سوف تواجه معارضة الولايات المتحدة^(٢) .

وقد كان الشاغل بالنسبة للولايات المتحدة هو ماذا تعمل مع السوفيت لمنع اشتراكهم في المؤتمر الذي دعوا إليه لبحث مشروع مارشال ، وقد أصر جورج كينان على دعوة روسيا « حتى لا نكون نحن الذين قسمنا أوروبا ، ولكن كينان كان يريد وضع قيود قاسية على اشتراك الروس في المشروع ، وأصر على أنهم يجب أن يكشفوا عن ظروفهم الاقتصادية ويضعوها تحت الفحص الأمريكى ، وكان يريد أن تتعامل اقتصاديات شرق أوروبا مع اقتصاديات الغرب ، مما يعنى فتح أسواق شرق أوروبا للمصالح الأمريكية التجارية ، وبما كان هذا يعنيه من احتمال كبير لإضعاف السيطرة الروسية على المنطقة وعلى هذا فقد استخلص معظم دارسى مشروع مارشال أن الحدود التي فرضت على اشتراك روسيا كانت قاسية^(٣) . وأنه

Ree s, "The age of containment", op. cit, p. 160.

(١)

Holl, "The cold war as history", 1967, p. 130

(٢)

Ambrose, Stephan, "Rise to globalism, American Foreign policy 1938-1970", Benguin Books, 1973. p. 150.

(٣)

برغم ما قاله ماريشال من أن المشروع ليس موجهاً ضدّ أى بلد أو نظام ، إنما ضد الفقر والجوع والخراب فإن الواقع أن مخطّطى الخارجية الأمريكية لم يكونوا يريدون اشتراك روسيا ، وفعلوا كلّ ما يستطيعون لمنع ذلك فى إطار إظهار أن مجهوداً حقيقياً قد بذل لإشراكها^(١) .

كذلك كان من الاعتبارات التى خشىها المخططون الأمريكيون هو أن اشتراك السوفيت فى المشروع باحتياجاتهم الضخمة قد يحمل ميزانيته أعباء ضخمة تدفع الكونجرس إلى رفض المشروع كليّةً .

أما الاتحاد السوفيتى فإنه كان مواجهاً ببديلين غير مستساغين ، فقد كان يخشى تكوين كتلة غربية ، كما أن الامتناع عن الاشتراك فى مؤتمر باريس سيكون مساوياً لفرض تكوين هذه القوة ، ومن ناحية أخرى فإنه إذا ما اشترك فيه فسوف يخلق إمكانية قدر ما من التغلغل الاقتصادى من جانب الديموقراطيات الغربية داخل الدول التابعة له^(٢) .

على أية حال فإن السوفيت قرروا الاشتراك فى المؤتمر التحضيرى الذى عقد فى باريس فى ٢٦ يونيو ، وتوجّه مولوتوف بوفد ضخم من الخبراء عدده ٨٩ فرداً ، مما أوحى بأن السوفيت يبحثون المشروع بشكل جدّى فى هذا المؤتمر اقترح مولوتوف أن تضع كلّ دولة مشروعها وخطتها الخاصة لإعادة البناء واستعادة قوتها الاقتصادية ، وأراد من كلّ دولة أن تجيب عن اقتراح الولايات المتحدة بإنشاء نظام جماعى اقتصاد على أساس من هذه الخطط ، ولتعرف كم من المال يريدون دفعه وسوف نقسمه بيننا على أساس من عانى كثيراً سوف يتلقّى القدر الأكبر^(٣)

Ibid

(١)

Ibid. p. 159.

(٢)

Rees, "the age of containment"

(٣)

غير أن فرنسا وبريطانيا اقترحتا أن تُعدَّ أوروبا مجتمعة خطة ، ثم أبدت دول غرب أوروبا الاقتراح الفرنسي البريطاني ، الأمر الذي جعل مولوتوف يغادر المؤتمر مهاجماً « إقامة منظمة جديدة تقسم بلدان أوروبا وتتدخل في شئونها الداخلية ، بل وتقرر شكل تقدمها وما تتبعه صناعاتها ^(١) » .

كما حذر « من أن أوروبا ستجد نفسها أسيرة المؤسسات الأمريكية ، وأن الخطة سوف تجزئ أوروبا إلى مجموعتين من الدول » وعاد مولوتوف إلى موسكو حيث أعلن السوفيت في خلال أسبوعين ما سُمي بخطة مولوتوف للدول شرق أوروبا . أما البولنديون والتشيكيون الذين سبق أن عبروا عن رغبتهم في الانضمام لمشروع ماريشال عادوا فأبلغوا مؤتمر باريس أنهم لا يستطيعون الاستمرار في حضوره حتى لا يعتبر هذا تصرفاً ضدَّ الاتحاد السوفيتي .

وهكذا كان من الواضح منذ البداية أن كلاً من الدعوة الأمريكية للاتحاد السوفيتي لحضور المؤتمر وبحث مشروع ماريشال ، والقبول السوفيتي لهذه الدعوة كان عملاً تكتيكياً من الدولتين : فقد كانت الولايات المتحدة تعلم أنه إذا دعيت دول أوروبا الغربية فقط فسوف تهم بأنها تريد من هذه الحرب الباردة ، وتريد من انقسام أوروبا ، كما كانت تعلم أن اشتراك الاتحاد السوفيتي في المشروع سوف يستلزم أموالاً ضخمة ستجعل من الصعب قبول الكونجرس الأمريكي لهذه الخطة ، خاصة في ضوء مشاعر العداء التي بدأت تتزايد ضدَّ السوفيت . أما الاتحاد السوفيتي فقد كان واضحاً أن قيام المشروع على أساس من التعاون الأوربي يعني أن روسيا سوف تسمح للرأسماليين أن يكون لهم رأى وقول في تطورها الاقتصادي ، كما أن اشتراك الاتحاد

(١) Ulam, Adam, "The Rivals, America and Russia Since world war 2." Aviking Compress Book, 1971, p.131.

السوفيتي في المشروع سوف يعنى مساهمته في تطوير ودعم اقتصاديات أوروبا الشمالية واستقرارها وهو الشيء الأخير الذى يرغب الاتحاد السوفيتي أن يسهم فيه ^(١) ومن ناحية أخرى فإن اشتراك دول أوروبا الشرقية في مشروع تسيطر على توجيه الولايات المتحدة كان يعنى تبعية هذه الدول اقتصادياً للولايات المتحدة والمعاني السياسية التي ستخلف ذلك .

أما رد الفعل السوفيتي العملي الذي تلا مشروع مارشال فهو عمله على تعبئة الرأي العام في الدول الأوروبية ضد الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الحملة على مشروع مارشال ، وهي التعبئة التي مثلت بالفعل ضغطاً على السياسة الأمريكية وخططها تجاه أوروبا . وقد كشفت جريدة برافدا في ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ أن مؤتمراً قد عقد في بولندا لوفود ٩ من الأحزاب الشيوعية الأوروبية * وأنهم قرروا إنشاء مكتب للاستعلامات كخلف للكونغرس الذي حلّ عام ١٩٤٣ وقد أعاد الكونغرس ، وهو الاسم الجديد للمكتب المنشأ ، تأييد الثقة بالقيادة السوفيتية ودعا إلى هزيمة مشروع مارشال داعياً إياه « بالجنح الأوربي لحطة عالمية للسيطرة على العالم فتحقق عن طريق الولايات المتحدة » كما قرر البيان أن الأحزاب الشيوعية

Kobler, "Under-Standing the Russians" op. cit., p.283.

(١)

« في هذا الاجتماع قال زاداتوف الممثل السوفيتي في المؤتمر وأكثر المقربين إلى ستالين : « إن الاتحاد السوفيتي سوف يندل كل جهد من أجل أن يتزل القتل بمشروع مارشال . وإن الأحزاب الشيوعية بفرنسا وإيطاليا وبريطانيا العظمى والأقطار الأخرى يجب أن تضرب المثل في الدفاع عن الاستقلال القومي والسيادة لأقطارها وأن الحاجة للتشاور المتبادل والتنسيق بين الأحزاب قد أصبح أمراً ملحاً في هذه الظروف . حيث يمكن أن تؤدي العزلة بينها إلى تقليل الضاهم المتبادل بل ربما إلى الأخطاء .. »

Hall, "The cold war as History", op. cit. p. 151.

راجع :

العالمية ، إنما تضع نفسها في طليعة المعارضة لخطط التوسع الإمبريالى . . .
وفي خلال أسبوع من إعلان الكومنفرم تحركت الأحزاب الشيوعية في غرب
أوروبا في معارضة شديدة للحكومات الوطنية بفرنسا وإيطاليا وحدثت إضرابات
عامة بقيادة الشيوعيين تضم ملايين العمال ، وتعلن علانية أهدافاً ثورية . وهكذا بدا
المسرح الأوربي محملاً بالتوتر والخوف .

منظمة حلف شمال الأطلسي

وهكذا تطور مشروع ماريشال إلى فصل آخر من فصول سياسة الاحتواء
الأمريكي للسياسات السوفيتية ، وساعد على دفع هذه المرحلة الجديدة الانقلاب
الشيوعي الذي حدث في تشيكوسلوفاكيا في فبراير ١٩٤٨ وأدخل تشيكوسلوفاكيا
نهائياً تحت الحكم الشيوعي . ثم حصار برلين في ربيع عام ١٩٤٨ . ففي فبراير سنة
١٩٤٨ عقدت القوى الثلاث أمريكا وبريطانيا وفرنسا مؤتمراً في ألمانيا الغربية وقرر

• كان ستالين خلال الحرب يؤكد لبيتز رئيس الجمهورية التشيكية أن الاتحاد السوفيتي يود أن يرى
تشيكوسلوفاكيا تحفظ بمكانتها ولا يريد أن يتدخل في شئونها الداخلية طالما أنها تحفظ بعلاقات صداقة تجاه
موسكو . ومن ناحية أخرى فقد كان الحزب الشيوعي التشيكي أقوى الأحزاب في نهاية الحرب . ففي انتخابات
حرّة في ٢٠ مايو سنة ١٩٤٦ حصل الشيوعيون على ٣٥٪ من الأصوات وجعلت منه الحزب الثاني ، وهو ما
كان يعنى قيام حكومة صديقة للاتحاد السوفيتي . كما كانت تشيكوسلوفاكيا بتجربتها مع الغرب و ميونخ
وخياته لها أكثر الدول ميلاً نحو الروس . وفي مارس سنة ١٩٤٥ تكونت حكومة كان للشيوعيين فيها سبعة
وزراء من ٢٥ عضواً . وكانوا يحتفظون بمنصب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهي الحكومة التي رفضت
الاشتراك في مشروع ماريشال في شتاء ٤٧ - ١٩٤٨ - بدت علامات على ضعف المركز القوى للشيوعيين
التشيكيين ، وفي فبراير ١٩٤٨ - وقع الانقلاب الشيوعي .

البيان المشترك الذى صدر أنهم اتفقوا على « وجوب قيام تعاون وثيق بينهم فى كل المسائل الناجمة عن مشروع مارشال ، وفيما يتعلق بألمانيا الغربية أن مثل هذا التعاون أمر حيوى إذا ما أريد لألمانيا الغربية أن تقدم مساهمتها الكاملة لاستعادة أوروبا لقوتها » .

وفى يونيو من نفس العام أوضحت الولايات المتحدة وبلدان منظمة بروكسل أنهم ينوون السير قدماً فى تكوين حكومة ألمانيا الغربية وبدا ضمناً - فى المدى الطويل - أن هذا يعنى أن الغرب ضمّ ألمانيا الغربية إلى المنظمة العسكرية المعادية للسوفيت .

كان هذا هو خلفية أزمة برلين ، وإن كان سببها الظاهر هو الإصلاح النقدي الذى قامت به القوى الغربية ؛ ولهذا فإن حصار برلين كان فى الاحتمال الأرجح مغامرة يائسة لإنقاذ شىء من الحطام ، أو جهد يائس لتأخير بروز دولة ألمانية متجهة نحو الغرب ^(١) .

غير أن مجيء حصار برلين بعد الانقلاب الشيوعى فى براج ، أقنع الذين مازال لديهم شكوك ، بأن الاتحاد السوفيتى هو قوة توسعية ، كما أن هذا الحدث قد جاء لكى يقدم الزاد للدعاية المعادية للسوفيت .

وبرغم أن الأحزاب الشيوعية الأوروبية مع ما أثارته من تهديد ، فإنها لم تنجح فى وقف مشروع مارشال ، إلا أن المحصلة النهائية كانت الشعور الذى بدا بين حكومات أوروبية من أنه من الصعب بناء أى استقرار سياسى أو اقتصادى دون أن تؤمن سلامتها ، وهو ما دفع الأوروبيين إلى المبادرة بالدعوة إلى إقامة نظام للدفاع الجماعى ، فى مارس سنة ١٩٤٧ وقعت كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا

ولوكسمبورج معاهدة للدفاع الجماعي فيما بينها ، وكما اعتمدت منظمة التعاون الاقتصادي الأوربي على رأس المال الأمريكي في نجاحها ، فإن أعضاء ميثاق بروكسل توقعوا التأييد العسكري الأمريكي وبالفعل وقعت الولايات المتحدة مع إحدى عشرة دولة أوروبية في أبريل سنة ١٩٤٩ معاهدة حلف شمال الأطلسي ^(١) . وبالنسبة للولايات المتحدة فإن هذا الارتباط الأطلسي مثل أول سابقة في تاريخها ، حيث ربطت نفسها بتحالف في زمن السلم وعرضها لموقف صعب على الأقل نظرياً وهو تعارض هذا مع تقاليدنا في عدم التورط في ارتباط عسكري مع العالم القديم .

وقد قررت المادة الخامسة من المعاهدة - وهي المادة الأساسية فيها - أن الأعضاء قد وافقوا على أن أي هجوم مسلح ضد واحد منهم في أوروبا أو أمريكا الشمالية سوف يعتبر هجوماً عليهم جميعاً ، وكان هذا يعني أن أوروبا قد أصبحت الخط الأول للدفاع الأمريكي وأن الولايات المتحدة سوف تحارب إذا ما عبرت القوات الروسية جبال الألب ^(٢) .

أما رد الفعل السوفيتي تجاه إنشاء منظمة حلف الأطلسي فقد جاء ضمن مذكرة نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩٤٩ واعتبرت « أن معاهدة حلف شمال الأطلسي لا علاقة لها بالدفاع عن النفس للدول الأعضاء في هذه المعاهدة والتي لا يهددها أحد ، كما لا يقوى أحد على أن يهاجمها ، على العكس فإن المعاهدة لها طابع علواني ، وهي موجهة ضد الاتحاد السوفيتي ، وهي الحقيقة التي لا يخفيها

Spanier, "American Foreign Policy Since world war 2," op. cit, p. 25 (١)

Ibid

(٢)

حتى الممثلون الرسميون للدول الأعضاء في المعاهدة في تصريحاتهم العامة^(١) .
وقد تلا هذا تطورات أدخلت عناصر جديدة على مضمون العلاقة بين
القوتين ، كما وسع بعضها من نطاق مسرح النزاع بينهما ، وتمثلت هذه التطورات في
تفجير الاتحاد السوفيتي للقنبلة الذرية عام ١٩٤٩ . وفي الشرق الأقصى وقع
تطوران على جانب بالغ الأهمية وسعا من نطاق الحرب الباردة ، ففي ١ أكتوبر عام
١٩٤٩ أعلنت جمهورية الصين الشعبية في بكين . وفي فبراير سنة ١٩٥٠ وقعت
المعاهدة الصينية السوفيتية التي جعلت من الصين أكبر وأهم حليف^(٢) ونقضت
بذلك في الواقع واحداً من الأهداف الأساسية للولايات المتحدة في الباسفيك ،
وهي إقامة دولة صينية قوية وصديقة . وأما التطور الآخر في الشرق الأقصى ، فهو
هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية في يونيو ١٩٥٠ . وسوف نبحث كلاً من
التفجير السوفيتي للقنبلة الذرية واشتعال الحرب الكورية بشيء من التفصيل ؛
وذلك لآثارهما الأساسية المقبلة في توجيه علاقات القوتين .

القنبلة الذرية

في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٩ أعلن ترومان : « إن لدينا من الدلائل على أن
انفجاراً ذرياً قد حدث في الأسابيع الماضية في الاتحاد السوفيتي » وهكذا فجر
الاتحاد السوفيتي قنبلة الذرية قبل ثلاثة أعوام من الموعد الذي كانت الولايات
المتحدة تتوقعه . وحين توصلت الولايات المتحدة إلى اختراع القنبلة عام ١٩٤٥

Rupinstin, "The Foreign Policy of the soviet union", Random House, (١)
New York, 1960 p. 268.

Deutscher, "Stalin".op. cit., p. 576.

(٢)

وقبل استخدامها كان روزفلت يميل إلى إبلاغ الروس بما تم إنجازه ، ولكن تشرشل رفض هذا واعتبره تصرفاً ساذجاً وأنه سوف يلغى هذا السلاح العظيم والذي سوف يخترعه الشيوعيون الذين يحترمون القوة . أما ترومان فقد انتظر أسبوعاً بعد علمه بالانفجار الناجع في نيومكسيكو لإبلاغ ستالين نبأ القبلة بشكل عارض . ولدهشة ترومان كانت استجابة ستالين عارضة فلم يبد أى حب استطلاع حول طبيعة السلاح ، ولم يصدر عنه أى إشارة أنه سوف يؤثر على الصراع بين القوتين من أجل المكانة القومية ^(١) .

وليس هناك سبب لافتراض أن زعامة ستالين قد أعطت السلاح الذرى دوراً أولياً في مفاهيمها الاستراتيجية . كما أنه ليس هناك سبب للشك في أن ستالين قد رأى هذا السلاح كما وصفه هو : « كشيء يخيف فقط ضعاف الأعصاب » . حقيقة أنه وافق على تطوير روسيا لهذا السلاح وذلك لأن الآخرين يمتلكونه ، ولأنه لا يريد أن يبقى بدون ، ولأنه كان على وعى كامل بأهمية الظلال التي قد تلقيها على الأحداث الدولية مجرد وجودها في ترسانة دولة ما ^(٢) .

وبدءة فإن ما هو مهم في مجرى تطور هذه العلاقة الخطرة في علاقات القوتين هو أنه بعد أن أعلن ترومان أن الروس قد تملكوا السلاح الذرى ، تسربت معلومات أن العلماء الأمريكيين يدرسون إمكانية صنع قبلة هيدروجينية وبالفعل أعلن ترومان هذا في يناير ١٩٥٠ وهكذا وضع أساس الوهم القاتل بأن تطور سلاح أكبر سوف يعطى لكل قوة الحماية ، وهو ما دفع إلى سلسلة غير متناهية من سباق في التسلح النووى . وسوف تمضي حقبتان على هذا السباق حتى تدرك القوتان أنه في

Ulam "Expansion and coexistence," op. cit, pp. 92. 93.

(١)

Kennan, George "The U.S. and the soviet union 1917-1976". foreign Affairs, July 1976, p. 681.

(٢)

عصر الأسلحة النووية فإن التعادل إنما يقدم أمناً أكبر من التفوق^(١).
ويبدو أن سياسة ترومان وموقفه من استخدام السلاح الجديد كأداة لدفع
ستالين إلى التراجع قد فشلت ، بل ربما كان أثرها عكسياً من حيث إن أثرها المباشر
كان دفع وزيادة المجهود السوفيتي لكسر الاحتكار الذري الأمريكي ، من خلال
مزيد من المجهود العلمي الكثيف والتجسس ، وهو العمل الذي نجح في أقل من
أربع سنوات^(٢).

وقد جاءت هذه السياسة ضد نصيحة هنري ستيمسون وزير الحرب ، فقد
اقترح استخدام ورقة القنبلة الذرية للتهديد والترغيب بتقديم عرض للروس يوفر نوعاً
من المشاركة في الإشراف المقبل على تطوير الطاقة الذرية مقابل اتجاه أكثر مرونة نحو
شرق أوروبا.

وكان ستيمسون يعتقد أن امتلاك الولايات المتحدة لمزيد من الأسلحة الذرية
سيعتبره الاتحاد السوفيتي عملاً مضاداً للطموح السوفيتي في أوروبا ، وتنبأ ستيمسون
بأن مثل هذا الوضع سوف يدفع الحكومة السوفيتية لأن تسعى بشكل محموم لتطوير
هذه الأسلحة ، وأن تدخل في سباق يائس مع الولايات المتحدة لامتلاكها .
وحذر من أنه إن لم تسرع الولايات المتحدة للتفاوض مع السوفيت حول هذا
السلاح فإن شكهم وعدم ثقتهم في دوافع الولايات المتحدة سوف يزداد^(٣)
أما بيريتز Byrenes وزير الخارجية فقد كان يعتقد أن الولايات المتحدة

(١) Frank Merli & Wilson, (editors): "Makers of American diplomacy, From B. Franklin to H. Kissinger", p. 515.

(٢) London, Kurt, (ed). "The Soviet Impact on world politics" Haw thorn Books, New York, 1974, p. 30.

(٣) Feis, Herpert, "From Trust to terror, the onset of the cold war" W.W. Norton Comp. New-York, 1970, p. 95-96.

تستطيع الاحتفاظ بالاحتكار الذرى لمدة سبع سنوات على الأقل ، وهو الوقت الكفيل بأن تحقق فيه الدبلوماسية المتشددة مع الاتحاد السوفيتى أوروبا مستقرة وهادئة ، وفرض الحطة الأمريكية للسلام التى ستجعل الحروب والتسليح غير ضرورى للأبد .

وكان ستيمسون فى فكرة بعث بها إلى ترومان بتاريخ ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٥ قد حث على تحقيق اتصال عاجل مع موسكو فيما يتعلق بالتطور المقبل والإشراف على الطاقة الذرية ، وكانت النقطتان الرئيسيتان عند ستيمسون :

(١) أن العلاقات مع السوفيت ستكون مريرة وبشكل لا رجعة فيه إذا ما فشلنا فى الاتصال بهم الآن ، مكتفين فقط بالتالى بهذا السلاح حيث سيزيد هذا من الشكوك السوفيتية وعدم الثقة ويدفعهم إلى بذل مجهود أكبر لمواجهة هذه المشكلة . وكان مما قاله ستيمسون تبريراً لرأيه : « إن الدرس الرئيسى الذى تعلمته فى حياتى الطويلة هو أن الطريق الوحيد الذى يجعل الإنسان جديراً بالثقة هو أن تثق به ، وأن الطريق الأكبر لجعله غير جدير بالثقة هو أن لا تثق فيه وتظهر له ذلك » .

(ب) وعلى هذا اقترح ستيمسون أن تقدم الولايات المتحدة للروس ترتيباً يشرف على استخدام الأسلحة الذرية ويحد منها ويشجع تطور القوة الذرية لأهداف سلمية وإنسانية^(١) .

وعلق البعض : إنه إذا كانت نصيحة ستيمسون قد اتبعت فربما كان التاريخ قد اتخذ مجرى آخر^(٢) .

أما ما عرف بنخطة باروخ Barouch التى قدمتها الولايات المتحدة عام

London "The Soviet impact on world politics" op. cit., p. 37.

(١)

Ibid.

(٢)

١٩٤٦ فقد جاءت متأخرة كثيراً . وقُدِّمت في الأمم المتحدة على عكس الأسلوب الذى أوصى به ستيمسون وحذَّر منه ، فقد قدمت الخطة لا للاتحاد السوفيتى وإنما للعالم بأسره ، وكانت تطالب بإقامة سلطة دولية لتطوير الطاقة الذرية يوكل إليها كل مراحل الإشراف والملكية لكل أوجه نشاط الطاقة الذرية التى تمثل خطراً على الأمن العالمى ، والسلطة على الإشراف والتفتيش والترخيص بكل أنواع النشاط الأخرى . وهكذا فإن الخطة الأمريكية كانت تتطلب من كل الدول - بما فيها الاتحاد السوفيتى - أن تضع كل أراضيها تحت التفتيش وقبول إخطاع العنصر الوطنى لسلطة فوق قومية فى مجال تطوير الطاقة الذرية وكانت النتيجة الطبيعية هو رفض الاتحاد السوفيتى لمبدأ التفتيش والملكية الدولية للمناجم والمصانع . وقد ردَّ الاتحاد السوفيتى على الخطة بخطة أخرى يقترح فيها حظر إنتاج وتخزين الأسلحة الذرية والتدمير الكامل لكل المخزون من القنابل ، ورفضت الولايات المتحدة هذه الخطة على أساس أن الغرب - مجرداً من القنبلة الذرية - سيكون بلا دفاع فى وجه التفوق السوفيتى فى القوى الأرضية والتقليدية^(١) .

الحرب الكورية

كانت كوريا قد قُسمت بعد الحرب العالمية الثانية . حيث احتلَّ الاتحاد السوفيتى الشمال واحتلت الولايات المتحدة الجنوب . وقد سحبت القوات جيوشها مع عام ١٩٥٠ بعد أن أقامت فى كل من القسمين النظام الاجتماعى والسياسى التابع لها . وكان القسم الشمالى بقيادة كيم إيل سونج ، أما الجنوبى فقد ترأسه سيانج مان ري .

وكان كلٌّ منهما حريصاً على توحيد كوريا تحت قيادته ، وفي الشهور التي سبقت اشتعال الحرب كانا يتوقعان تحقيق الوحدة بالوسائل السلمية ومع عام ١٩٥٠ كانت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد بلغت قممها وكان أى صراع بين الشمال والجنوب يمكن أن يخلق تهديداً بحرب عامة . وكان واضحاً أن كلا القوتين قد أدركتا الخطر ، وأظهرت تصرفاتهما أنهما حريصان على تفاديه ، فقد سحبتا جيوشهما من المنطقة ، بل إن الأمريكيين قرروا علانية أنهم لا يعتبرون كوريا أمراً جوهرياً في الدفاع عن مصالحهم في آسيا . وعلى هذا كان يمكن اعتبار أن القوتين قد فوجئتا بالحرب . وقد توحي هذه الظواهر بأن الحرب قد بدأت لأن كلا من كيم إيل سونج وسيجيان رى لم يعودا يتسامحان في بقاء كوريا مقسمة وأن الشمال والجنوب قد استفز أحدهما الآخر حتى شنّ واحد منها الهجوم الكبير ، وهكذا كانت كوريا في أساسها حرباً أهلية .

غير أن هذا التصور لم يكن هو الذى ساد في الولايات المتحدة ، والتي لم يكن لديها شك في أن ستالين هو الذى اتخذ القرار بشن هجوم من الشمال على الجنوب ، وأن هذا يعنى مباشرة أن الاتحاد السوفيتي قد خاطر بوعى كامل بحرب عالمية ، أو بمعنى آخر أن السوفيت يحاولون في منطقة أخرى توسيع إمبراطوريتهم^(١) .

وقد صور ترومان هذا المفهوم الأمريكى للدور السوفيتي في دفع وإشعال الحرب الكورية بقوله : « إن الهجوم على كوريا الجنوبية قد جعل من الواضح وبدون أى شك أن الشيوعية قد تعدت مرحلة استغلال التخريب لهزيمة الأمم

المستقلة ، وأنها الآن تستعمل الغزو المسلح والحرب^(١) وتعكس هذه العبارة فهم الولايات المتحدة لحدث الحرب في كوريا على أنه ليس مجرد حدث موضعي إقليمي له معانيه المحدودة وإنما على أساس دلالاته على نوايا السياسة السوفيتية ومخططاتها ، لا لحماية أمنها القومي وإنما للغزو الشيوعي الشامل ، وأن هذه المرحلة لم يعد يلجأ فيها لمجرد التخريب أو إشاعة الفوضى وإنما استخدام الحرب والغزو المسلح . كما لم يكتف بهذا التفسير وإنما أقام عدداً من التشابهات مع مواقف أخرى ، فكما تصاعد التوسع الياباني الذي بدأ عام ١٩٣٩ وبلغ ذروته في الهجوم المفاجئ على بيرل هاربر ، كذلك بلغ اليوم التوسع الشيوعي مداه المائل في الهجوم المفاجئ على كوريا الجنوبية ، وأما التماثل الآخر الذي أقيم فهو بين كوريا المقسمة في الشرق وألمانيا المجزأة في الغرب ، فإذا كان السوفيت قد استدرجوا القوات الأمريكية بينما احتفظوا بقواتهم سليمة ، وأبعدوا القوات الأمريكية عن مسرح أكثر أهمية ، فهل ليس من المنطق أن تكون حركتهم التالية في أوروبا ؟ وأن يحرك الكرملين الألمان الشرقيين للهجوم على ألمانيا الغربية بينما يقون قواتهم جانباً ، أو أن يتقدم الجيش الأحمر ذاته نحو أوروبا في الوقت الذي تبدو فيه القوات الأمريكية عاجزة بعيداً عن كوريا^(٢) .

وهكذا كان الافتراض الأساسي في الولايات المتحدة - والتي حاربت من أجله في كوريا - هو أن الاتحاد السوفيتي هو الذي حرك هذه الحرب ، وأنه بدون هذا فإن الكوريين الشماليين لم يكونوا ليجرؤوا على الهجوم . وتبلورت التفسيرات التي أعطيت للنوايا السوفيتية من هذا الإجراء فيما يأتي :

Hall, "The Cold War as History" op. Cit, pp. 23 7-248-2

(١)

Ibid.

(٢)

(أ) أنه يمكن أن يكون مجرد حركة تنسيق صينية سوفيتية لخطوة أكبر ربما ضد إيران .

(ب) أنه إجراء يقصد به جس النبض في النقاط الضعيفة .

(ج) أنه اختبار للإرادة وأنه يشبه تحركات هتلر الأولى

(د) أن كوريا يمكن أن تكون إجراء من سلسلة إجراءات سيقوم بها الاتحاد السوفيتي لإثبات القوة السوفيتية والضعف الأمريكي .

(هـ) أن الهجوم يستهدف وضع اليابان بين فكي الدب الروسي .

وقد اندمجت هذه الافتراضات في نظرية حرب الاستنزاف التي تصورت أن ستالين قد تبناها لكي يستدرج الولايات المتحدة في سلسلة من الحروب الصغيرة ، وأنه سوف يستخدم في هذا القوة البشرية وقوات الدول التابعة له بدون الزج بالقوات السوفيتية ، وهكذا فإن كوريا يمكن أن تشعبها إيران والهند الصينية ، ولا يعرف أحد ماذا بعد ، وهو مشهد سوف يجلس فيه ستالين في الكرملين يضغط على زر بعد الآخر تطير معه القوات الأمريكية إلى عملية استنزاف أخرى لدمائها على بعد آلاف الأميال من بلادها ^(١)

فإذا كان الأمر كذلك ، وأن الحرب الكورية قد اشتعلت بتشجيع من ستالين ،

فإذا كانت الدوافع والاعتبارات السوفيتية وراء ذلك ؟

ثمة عدد من الإجابات يعتبر بعضها أن الإعلان الأمريكي بأن على كوريا أن تدافع عن نفسها قد لعب دوراً في التأثير على القرار السوفيتي الاستراتيجي لاستعمال الحرب المحدودة لمحاولة مدّ حدود الكتلة السوفيتية لكي تضم شبه الجزيرة

الكورية ، كما أن هذا القرار قد استند إلى الافتراض بأن مجلس الأمن لن يستطيع اتخاذ قرار في غية الوفد السوفيتي ، أو ضد استعماله حق الفيتو باعتبار أن عنصر الإجماع ضروري لأي إجراء في الدفاع الجماعي ^(١) . كذلك اعتبر البعض أن شعور ستالين بفقدان المبادرة في أوروبا جعله يتجه إلى استعادتها في آسيا خاصة أن الصين الشعبية كانت قد قامت منشطة بذلك قاعدة ممتازة لاتباع سياسة التقدم في كوريا ، وأنه من ناحية أخرى قد قدر أنه باستيلائه على كوريا كلها فسوف يكون في إمكانه أن يهدد إشراف أمريكا على اليابان إحدى المناطق الأساسية للاستراتيجية الأمريكية في الباسفيك ، فضلا عن أن النجاح في كوريا يمكن أن يشجع المحاربين الشيوعيين في فيتنام ^(٢) .

غير أن ثمة رأى يعتبر أن ستالين وهو يشجع ويشير الحرب الكورية إنما كانت عينه على الصين ، فقد أراد باتباعه سياسة متقدمة في كوريا أن يثبت أن الصينيين ليسوا هم الشيوعيين الوحيدين في آسيا ^(٣) وأن ستالين إذا استطاع أن يحكم كل كوريا فسيكون في مقدوره السيطرة على بكين من مواقع في منغوليا ومنشوريا وكوريا . غير أن هناك تفسيراً آخر يقول : إن الحرب في كوريا لم يثرها ستالين ، وإنما سيجمان رى . وإن هذا قد تم بإغراء من تشاينج كاي شيك والجنرال ماك آرثر وبعض الرسميين الأمريكيين من أجل إجبار الحكومة الأمريكية على مد سياسة الاحتواء إلى كل منطقة الباسفيك ، ذلك أنه بدون التأييد الأمريكي فإن كلاً من

(١) Mackintosh, "Strategy and Tactics of Soviet Foreign Policy" oxford, 1962, p. 45.

(٢) Higgins, "The cold war" op. cit. p. 78.

(٣) Deutcher, "Stalin", op. cit, p. 584. (Sugin, Han, "China in the year 200 1, Penguin Books, 1971, p. 197).

كوريا الجنوبية وفرموزا تقف معرضة للخطر تماماً من الضغط الشيوعي^(١) .
وبالفعل فبعد بدء الحرب مباشرة حدث تحول جذري للسياسة الأمريكية في
الشرق الأقصى فبدلاً من مفهوم الدفاع المحدود نشأ التزام غير محدود لمدّ تأييد
الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادي عبر منطقة الباسفيك كلها . وكانت هذه
السياسة تعني في الواقع مدّ نظرية ترومان إلى كل آسيا . بل إن الموقف قد تطور إلى
قرار أمريكي ببدء الحرب إلى كوريا الشمالية ، فبعد وصول قوات الأمم المتحدة إلى
الحدود وإلى خط ٣٨ ، وانسحاب الكوريين الشماليين الكامل الأمر الذي كان يعني
انتهاء الغزو وتحقيق قرار الأمم المتحدة وفتح الباب أمام تسوية عن طريق
المفاوضات ، وخلال الشهور الثلاثة الأولى من الحرب فإن كلاً من الصين والاتحاد
السوفيتي لم يتدخل بشكل مباشر ، وكان هذا السلوك يدل على أنها مستعدان إلى
العودة إلى الموقف قبل الحرب ، إلا أن سيجمان رى كان يلحّ على إعادة توحيد
كوريا بقوة السلاح^(٢) .

وإذا كان ترومان قد توقّف عند هذا الحدّ لكان قد أنقذ كوريا الجنوبية دون
الزجّ بالصين الشيوعية ، إلا أن الأسلوب والمفهوم الذي سيطر على ترومان ومعاونيه
قد دفعه في نهاية عام ١٩٥٠ إلى خطوتين أدتا إلى الزجّ بالولايات المتحدة في حرب
غير معلنة مع الصين ، فقد أعلن ترومان في ٢٧ يونيو أن الأسطول السابع يحوط
خليج فورموزا . وبعد هذا بثلاثة شهور تلقى ماك آرثر الإذن بعبور خط عرض ٣٨ .
والواقع أن القادة الديموقراطيين في الكونجرس كانوا يضغطون من أجل ضمان
الولايات المتحدة لأمن فرموزا منذ أن هرب إليها تشاينج كاي شيك في نهاية

Higgins, "The cold war", op. cit, 78.

(١)

Ibid.

(٢)

١٩٤٩ ، وقد قاوم ترومان هذا الاتجاه لأنه كان - من ناحية - لا يثق في الصينيين الوطنيين ولأنه - من ناحية أخرى - كان مع وزير خارجيته مازالا يأملان في حدوث انشقاق بين الصين الشيوعية والاتحاد السوفيتي ، ولأنه لم يكن يريد أن يؤثر هذا على إمكانية اتباعه لسياستين صينيتين . وقد كان إرسال الأسطول لخليج فرمورا يهدف إلى تهدئة الضغوط الداخلية ، غير أن هذا التصرف أثار وأكد الشكوك الطويلة لدى الصين الشيوعية في الأهداف الأمريكية ، وفسر ماوتسي تونج تحييد فورموزا كتدخل أمريكي في الحرب الأهلية الصينية إلى جانب تشانج كاي شيك وبذلك فإن ترومان في سعيه إلى تحقيق إجماع في الجبهة الداخلية على المدى القصير قد أفسد هدف الإدارة الطويل الأجل في مواجهة الصين بالاتحاد السوفيتي ^(١) .

ومع هذا يرجع لترومان الفضل في جعل أول حرب ساخنة في العصر الذري حرباً محدودة حين أقال ماك آرثر الذي كان يطالب باستخدام الأسلحة الذرية في الحرب .

وهكذا دخلت الولايات المتحدة في حرب محدودة مع الصين ، وقبل هذا كان القادة الأمريكيون يعتقدون أنه لا سبب للاعتقاد بأن الصين سوف تتدخل في الحرب الكورية* .

Merli, "Makers of American Diplomacy", op. cit, p. 567.

(١)

* قدم بعض الكتاب نموذجاً مماثلاً قد يفسر لماذا تدخلت الصين في الحرب الكورية . ونساءلوا كيف يمكن للأمريكيين مثلاً أن يتصرفوا حين يجدون أن قوة كبرى تلقى لكي تستحق حكومة مكسيكية صديقة للولايات المتحدة وتقع على حدود مدنها ، وتعمل تحت قيادة قائد يهدد بالحرب ضد الولايات المتحدة نفسها - ومن خلال هذا التشبيه فإنه يمكن أن نفهم أن دخول الصين في الحرب الكورية قد سببه مخاوف حقيقية من النوايا الأمريكية . وقد أظهرت دراسة أعدتها مؤسسة راند عام ١٩٦٠ أن قرار الصين بدخول الحرب كان ذا دوافع معقولة .

ولم تدخل الصين عملياً إلا بعد ٤ شهور من اشتعال الحرب ، وليس قبل أن يتلقى ترومان تحذيرين من بكين ضد إرسال قوات شمال خط ٣٨ ، وليس قبل أن تدخل القوات الأمريكية وقوات الأمم المتحدة على الحدود الصينية على نهر يالو والتي كانت تقذفه الطائرات الأمريكية^(١) وهكذا ولادة عامين وحتى توقيع الهدنة الكورية عام ١٩٥٣ ، كان الأمريكيون والصينيون يحاربون بعضهم بعضاً ، وكان تصميم كل من ترومان والقادة الصينيين هو الذي تفادى تصاعد القتال إلى صراع على نطاق واسع بين القوتين ، وهو ما كان يناضل ماك آرثر من أجله حتى طرد في أبريل سنة ١٩٥١ ؛ حيث كان يعتقد أن حرب كوريا لم يكن من الممكن كسبها بدون هجوم على منشوريا ، والتي كانت بالتالي تعنى زيادة فرص حرب عالمية ثالثة . وبرغم أن هذه الكارثة قد أمكن تفاديها في النهاية ، فإن الحرب الباردة رغم هذا قد وصلت إلى مستوى جديد من الحدة وتحولت به الولايات المتحدة من رجل بوليس أوربا إلى رجل بوليس العالم ، وتبع هذا حصول ترومان على تفويض من الكونجرس بسلطات طارئة لزيادة تعبئة الحرب ، وقدم ميزانية دفاع تبلغ ٥٠ بليون دولار وحصل على قواعد جديدة في مراكش وليبيا والسعودية ، وزاد القوات المسلحة بنسبة ٥٠٪ حيث بلغت ٣٥٠ مليون جندي ، ودفع إلى الأمام معاهدة سلام مع اليابان وزاد من المساعدة الأمريكية للفرنسيين في الهند الصينية ، وأسرع في عملية ضم اليونان وتركيا إلى الناتو ، وبدأ محادثات مع فرانكو دفعت أمريكا إلى مساعدة أسبانيا الفاشية مقابل قواعد حربية فيها^(٢) كما كان من تداعيات الحرب

Higgins "the cold war" op. cit., p. 82.

(١)

Ibid, p. 83.

(٢)

الكورية الأساسية أن أنهت تردد ترومان في الموافقة على مذكرة مجلس الأمن القومي التي عرفت بـ NSC 68 * باعتبار أن المذكرة قد استندت أساساً إلى أن المطامح

* في ٣٠ يناير سنة ١٩٥٠ فرض ترومان وزارتي الدفاع والخارجية « لعمل استعراض شامل وإعادة تقييم لسياسة أمريكا الخارجية والدفاعية في ضوء فقدان الصين وتملك الاتحاد السوفيتي للأسلحة الذرية ، وقد انتهت اللجنة من تقريرها في ١٢ أبريل حيث أرسلها ترومان إلى مجلس الأمن القومي ، وعادت لتصبح معروفة بهذا الاسم ، وكانت كما وصفها والتر لافير « إحدى الوثائق التاريخية للحرب الباردة » ووصفها السناتور هنري جاكسون بأنها « البيان » الشامل الأول عن استراتيجية وطنية .. وقد بدأت المذكرة بأن وضعت ٤ بدائل للسياسة الأمريكية ..

١ - استمرار الطابع الحالي للعمل بدون تدعيم القدرات الأمريكية أو خفضها .

٢ - الحرب الوقائية .

٣ - الانسحاب إلى نصف الكرة الغربي واتباع سياسة التحصن في أمريكا .

٤ - تطوير قدرات العالم الحر .

وكان البديل الرابع هو الاختبار المنطقي من حيث إن البديل الأول لم يكن صالحاً في ضوء القنبلة الروسية والانتصار الشيوعي في الصين ، والثاني كان أبعد من الإمكانات الأمريكية وكان يعنى التضحية بضرب أوروبا بالجيش الأحمر ، أما البديل الثالث فلم يجذب الشخصيات القيادية في الإدارة الأمريكية .

وقد أصبحت هذه المذكرة أساس السياسة الخارجية الأمريكية عبر السنوات العشرين التالية . وقامت على تصور أنه في الوقت الذي تنظر فيه الولايات المتحدة أن يلين النظام السوفيتي . فإنها يجب أن تعيد تسليح نفسها ، وهكذا تمنع أي توسع سوفيتي . ولم يكن البرنامج الذي قدمته المذكرة يتطلع إلى تحرير الصين أو شرق أوروبا ، وإنما كان يدعو إلى أن تقوم الولايات المتحدة بشكل منفرد بالدفاع عن العالم غير الشيوعي .

وقد مثلت المذكرة الامتداد العملي لنظرية ترومان والتي كانت في متضمناتها عالية وإن كانت محدودة بأوروبا في التطبيق ، وقدمت التبرير لاتباع أمريكا دور رجل البوليس الدولي . وفعلت هذا على أساس تحليلها لسياسة الاتحاد السوفيتي حيث اعتبرت أن السوفيت يكرسون أنفسهم لا لحماية قوتهم وسلطتهم فقط وأيديولوجيتهم . وإنما بمدّ وتدعيم هذه القوة باستيعاب دول تابعة جديدة وإضعاف أي نظام منافس . وتضمن هذا التحليل فكرة أنه أينما فقدت الولايات المتحدة والغرب موضع قوة سواء كان قاعدة عسكرية أم مستعمرة نتيجة حرب استقلال ، فإن الكرملين أو الشيوعيين الصينيين يقفون وراء ذلك

Ambrose, "Rise to Globalism" op. cit., pp. 188-189.

راجع :

السوفيتية لا تنحصر في أوروبا أو الشرق الأوسط ، وأن ستالين سوف يخاطر بالحرب للمحافظة عليها . وأن ترومان قد وجد أن غزو كوريا قد جاء لكى يثبت بشكل درامى المقدمات الأساسية للمذكرة^(١) .

وقد كان هذا الوضع يطالب - كما أوضحت المذكرة - بتوسيع عاجل للأسلحة والقوات المسلحة للولايات المتحدة ، وهو الأمر الذى برره دين أتشيسون « أنه فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى ، فإن أكثر المفاوضات فائدة هى بالأفعال وليس بالأقوال . . . ولهذا فإن برنامج NSC 68 يصر على إصلاح نقاط الضعف وخلق مناطق ومواقف قوة . . . » .

وهكذا كانت خبرة الحرب الكورية حاسمة فى عدد من الوجوه فقد كانت أول محاولة لاحتواء الشيوعية بقوة السلاح ، وإن كانت محاولة محدودة إقليمياً وسياسياً ، كما قد حددت بشكل واسع الأسلوب والطريق الذى اتخذته التحول العظيم فى السياسة الأمريكية . . . ففى أوروبا أدى الصراع الكورى إلى إعادة القوات الأمريكية وإنشاء قيادة متكاملة وكذا إلى قرار إعادة تسليح ألمانيا ، وفى آسيا فإن الحرب الكورية أدت إلى التدخل الأمريكى فى الحرب الأهلية الصينية . وأسرعت بإبرام سلسلة من التحالفات الثنائية والجماعية التى استمرت حتى اليوم تقريباً تحدد مدى الالتزام الأمريكى فى المنطقة^(٢) .

كذلك جاءت الحرب الكورية لتكون الحد الفاصل الذى يميز نهاية تقاليد السياسات العالمية التى تركز حول أوروبا ، وتسجل بداية عهد جديد تصبح فيه

Merli, "Makers of American diplomacy", op. cit, p. 516 (١)

Nathan, "U.S. Foreign Policy and world order", op. cit, p. 180. (٢)

السياسة عالمية حقاً فحتى نشوب الحرب الكورية كانت السياسة العالمية تعنى السياسات الأوروبية كما كان الأمر منذ عدة قرون ، وقد افترض القادة الأمريكيون والروس والأوروبيون أنه إذا ساد أوروبا الاستقرار ، فإن السلام الأساسى للعالم يمكن أن يضمن ، وكانت فكرة أن العالم الثالث الذى يرقد خارج أوروبا وأمريكا يمكن أن يؤثر فى السياسات الرئيسية للغرب تثير السخرية ، فقد كان ثمة شعور بأن هناك بلداناً فقيرة ومتخلفة يجب مساعدتها وإشاعة المدنية فيها ، كما أن هناك متاعب فى البلدان غيرالأوروبية تجعل الحيلة صعبة للغرب ، إلا أنه مع هذا فقد كان يبدو من غير المتصور أن الصراعات خارج أوروبا يمكن فى ذاتها أن تقرر مصير العالم^(١) .

سوف نتوقف عند هذا الحد لنلقى نظرة تقيم على علاقات القوتين خلال هذه المرحلة من الحرب الباردة ، وإن كان هذا لا يعنى انتهاء هذه الحرب ، فسوف تستمر ، وسوف يتصاعد الخلاف بين القوتين ، ولكن لأن هذه الفترة تميزت بأنه خلالها أقيمت المقومات العسكرية والسياسية والأيدىولوجية التى تحكمت فى علاقاتها لفترات طويلة تالية بل إن عناصرها الأساسية ظلت باقية حتى اليوم .

وبدءاً فإن الانطباع السائد فى التفكير الآن حول السنوات الأولى للحرب الباردة وكيف جرت أحداثها ، هو مدى صعوبة فصل ما كان حقيقياً عما كان مشوهاً فى تصورات كل جانب عن الآخر ، وهذا لا يعنى القول إن الخلاف كان ناتجاً عن سوء التفاهم ، فتصادم المصالح المتعارضة كان حقيقياً وخطراً للغاية ، ولكن ما أثر فى تصعيد وتكثيف هذا الخلاف هو الظروف داخل كل من البلدين ، والتى أثرت على تصورها عن الأخرى . فكل جانب ولأسباب مختلفة تماماً طور

أنماطاً مبسطة وعاطفية حجبَت الطبيعة الحقيقية للصراع ، وكانت نتيجة ذلك دورة من الفعل وردود الفعل^(١) .

غير أنه إذا كانت الحقيقة الرئيسية في نشوء الحرب الباردة هو فشل القوتين في الإبقاء على التحالف الذي جمعها خلال الحرب* ، فإن عدداً من المفاهيم يمكن أن نوردتها وهي :

أولاً : أن العداء الذي تطوّر بين القوتين خلال هذه الفترة الأولى كان في الواقع أزمة في ميزان القوى نتيجة لبروز الاتحاد السوفيتي ممتلكاً لنصف أوربا ، ويبدو النصف الآخر عاجزاً أمامه . ويكاد هذا الموقف أن يشبه الموقف الذي نتجت عنه الحروب الأوربية الكبرى ١٧٨٩ - ١٨١٥ ، ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، حين تهدّد توازن القوى في كلٍّ من هذه الحالات ، وكانت كلّ حرب منها محاولة لاستعادة هذا التوازن . ومن هنا فإن بذور الحرب الجديدة - برغم أنها بقيت باردة - فإنها تكمن في الجهد السوفيتي لدعم موقفه في شرق أوربا والذي رأى فيه الاتحاد السوفيتي تأميناً لسلامته التي تعرّضت تاريخياً للخطر والانتهاك ، نتيجة

(١) - Shulman. M.D., "Beyond cold war "New Hove, London, Yale unive-rsity Press, 1966, p. 2.

* يعتبر بعض المؤرخين أنه حين ينظر المرء إلى الاختلاف الأساسي بين المجتمع والحكومة السوفيتية وبين المجتمع والحكومة الأمريكية ، وفي اختلاف المصالح الوطنية للاتحاد السوفيتي عن مصالح حلفائها خلال الحرب فإن العجب لا يكون في أن التعاون بينهما مالم يثبت أن توقف ، وإنما أنه كان ممكناً أن يقوم وأن يكون فعالاً كما بدا خلال الحرب ، وقد جعل ضبط النفس وللمعاونة من جانب كلٍّ من روزفلت وستالين من الممكن تحقيق ما تحقق ، وعلى هذا فإن المهندس الحقيقي لهذا التحالف إنما كان هتلر نفسه ، وحين أزيلت يده القوية سقط التحالف .

راجع: MC neill, "America, Britain, and Russia: Their Cooperation and conflict, 1947-1946", op. cit.,

لضعف جبهته في هذه الدول ولطالباته في تركيا وإيران ، ومن ناحية أخرى في التصدي الأمريكي لهذه السياسة من خلال سلسلة من التحالفات الاقتصادية والعسكرية والسياسية . . .

ثانيا : أن النظرة السوفيتية تجاه الولايات المتحدة والغرب خلال هذه الفترة قد تأثرت بخبراتها وتجاربها التاريخية ، فالخبرة الروسية وصلاتها مع العالم الخارجي والغزوات المتتالية التي تعرضت لها ، قد علّمت روسيا أن لا تثق في أحد ، وأن تكون دائما على حذر وعلى شك في الآخرين ، وجعلت من الخوف القوة الدافعة في السلوك الروسي . كان هذا مع أمراء موسكو ومع القياصرة وهو ما يصدق مع الحكم السوفيتي الذي تأكدت له هذه الخبرة بشكل أوضح حين تعرضت روسيا للغزو في الفترة من ١٩١٦ - ١٩٢٢ من جانب الألمان والنمساويين والفرنسيين والبريطانيين والأمريكيين والبولنديين واليابانيين وذلك للإطاحة بالنظام لسوفيتي^(١) .

ثالثا : في مواجهة رد فعل حاد من جانب الولايات المتحدة فإن استجابة الاتحاد السوفيتي كانت هي التراجع السريع والعمل على عدم تصعيد النزاع . وضع هذا عند الضغط السوفيتي على تركيا وإيران وفي حصار برلين . وكان الدافع الرئيسي للاتحاد السوفيتي في هذا المسلك هو تفادي أي مواجهة مع الولايات المتحدة . فقد كانت فكرة ستالين الرئيسية حول السياسة الخارجية السوفيتية لما بعد الحرب ، هي أن الاتحاد السوفيتي يجب أن يمتنع عن أي حركة في المسرح الدولي يمكن أن تؤدي إلى حرب مع الغرب . وكانت الأسباب وراء هذا متعددة : التفوق الأمريكي في الأسلحة النارية ، المشاعر التي كانت لدى الشعب الروسي تجاه حلفائه في الحرب

وكراهيته للحرب . أما السبب الرئيسى فهو تفادى ما يمكن أن تؤدى إليه مواجهة عامة من شلل للنظام السوفيتى ، ذلك أن أى هزيمة كانت تعنى انهيار النظام وانهيار كل ما أقيم فى الداخل والخارج .

على أنه إلى جانب هذه الأصول العامة فإن السؤال الرئيسى الذى يطرح عند تقييم الحرب الباردة - وخاصة فى بداياتها - هو الذى يحاول أن يحدد مسئولية الطرفين عنها ، وأياً منها أسهم أكثر بسياساته ومفاهيمه وقراءاته لنوايا الطرف الآخر فى إرسائها ثم فى تصاعدها. فى هذا الخصوص ثمة عدد من التفسيرات التى تتراوح بين إلقاء اللوم المطلق على طرف دون آخر ، فعلى الجانب السوفيتى نجد تفسيره للحرب الباردة بأنها قد صدرت أساساً من محاولات الولايات المتحدة حرمان الاتحاد السوفيتى من مكاسبه فى حرب ضحى فيها بملايين من أبنائه ، وتحمل خلالها من الخراب والتدمير ما لم تتحمله الولايات المتحدة أو بلد آخر من الحلفاء . وأن كل ما كان يطمح فيه الاتحاد السوفيتى هو تأمين وجوده وأمنه فى مناطق تعرض فيها للغزو والتهديد ثلاث مرات خلال ثلاثين عاماً ، وأن فى كل هذا كانت الولايات المتحدة تضع نفسها على رأس القوى المعادية للسوفيتية والشيوعية وتتزعم حملة لحصاره وضربه ، كما تذهب التفسيرات السوفيتية إلى أن الولايات المتحدة - وهى تعدّ لهذا - اتجهت إلى إحياء العسكرية الألمانية وتغذية عناصر الانتقام . فيها ضدّ الاتحاد السوفيتى ، مناقضة بذلك الاتفاقات التى توصل إليها الحلفاء خلال الحرب من عدم تسليح ألمانيا من جديد^(١) .

(١) Ponumaryov and others (editors) "History of soviet foreign Policy; 1945-1970", Progress Publishers, (Moscow I, 1973, p. 200.

• هناك فى التفكير الأمريكى تيار يلقى مسئولية الحرب الباردة على الولايات المتحدة =

أما التفسير الأمريكي التقليدي فقد اعتبر أن سلوك الولايات المتحدة في الحرب الباردة كان كما عبر آرثر شلزنجر : « استجابة شجاعة وضرورية من رجال أحرار للعدوان الشيوعي »^(١) وأن هذا الكبلوك كان في مجموعه رد فعل ضد الحرق المنظم من جانب السوفيت لاتفاقيات الحرب وخاصة في شرق أوروبا ، وأن الولايات المتحدة قد ووجهت بعد انتهاء الحرب بتصميم سوفيتي على دفع الثورة العالمية وعلى خلخلة النظم الديمقراطية الغربية تمهيداً للقضاء عليها .

أما التيار الوسط فهو الذي يجعل من الحرب الباردة في أسبابها وتطورها مسئولية القوتين معاً ، ومسئولية قادتها وصانعي القرار فيها وأفكارهم المسبقة التي حكموا بها على تصرفات الآخرين^(٢) . ففي كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كان قادتها يزنون باستمرار نوايا كل منهما وفقاً لمفاهيم مسبقة صاغتها ضغوط شخصية

= وهو التيار الذي عرف بالمراجعين **Revisionists** ويرغم أنهم يختلفون فيما بينهم حول نطاق واسع من المسائل المحددة فإنهم يميلون إلى الانقسام إلى مجموعتين متميزتين . فالمعتدلون منهم يركزون على الأفراد أكثر مما يفتون بالنسبة لطبيعة المؤسسات أو النظم ، فهم يرون انفصلاً حاداً بين سياسات فرانكلين روزفلت وهاري ترومان ، ويحملون مسئولية الحرب الباردة على ترومان ومن أحاطوا به . أما المراجعون المتشددون فهم يشيرون مسائل أساسية أكثر ، فالحرب الباردة عندهم كانت نتيجة حتمية للنظام الأمريكي كما تطور عبر السنين . وأياً كانت الخلافات بين الأفراد إلا أن جميع صنّاع القرار كانوا مكرسين لإقامة نظام عالمي تسيطر عليه الولايات المتحدة . وحين رفض الاتحاد السوفيتي أن يرضخ للسيطرة الأمريكية على العالم - وخاصة شرق أوروبا - فإنه بدأ بعمل كعكس .

Maddox, J, "The new left and the origins of the cold war" : راجع :
Princeton university Press, 1973, pp. 4.5.

Maddox, "The New left and the origins of the cold war". op. cit. (١)

Gaddis, "U.S. and the origins of the cold war", op. cit. pp. 259- (٢)

وايديولوجية وسياسية ، وهكذا بدأت الحرب الباردة من التداخل المعقد لتطورات داخلية وخارجية في كلٍّ من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، فالموقف الخارجي الذي كانت ظروفه أبعد من سيطرة أى من القوتين ، قد تركت الأمريكيين والروس يواجهون بعضهم بعضاً عبر أوروبا العاجزة بعد نهاية الحرب الثانية ، وفي الموقف الداخلي كان البحث عن الأمن ودور الأيديولوجية واحتياجات إعادة البناء الشامل بعد الحرب ، ثم شخصية ستالين من الأمور الموجهة للسياسة السوفيتية وفي الولايات المتحدة كان يسيطر مبدأ حق تقرير المصير ، والخوف من الشيوعية ، والشعور بالسيطرة والتفوق الذي دعمته القدرة الاقتصادية وامتلاك القنبلة الذرية - كل هذا جعل المواجهة التي نتجت مواجهة ذات طابع عدائي ، وبرغم أن قادة البلدين كانوا ينشدون السلام فإنهم في سعيهم إلى هذا استسلموا لاعتبارات لم تكن قد أثارت الحرب ، إلا أنها جعلت من حلّ الخلافات أمراً مستحيلاً^(١) .

ويواصل هذا التيار المتوازن تقييم مسئولية كلٍّ من القوتين في الحرب الباردة ، فيعتبر أنه وإن كان مستوى ما من الصراع كان حتمياً بتحلل تحالف الحرب وبداية تكيف علاقات جديدة بعد الحرب ، فإن الصراع قد زاد تعقيداً عما كان يجب أن يكون عليه بتصرفات كلا الجانبين . فإلى جانب مسئولية الاتحاد السوفيتي وممارسات ستالين للقوة ، كانت مسئولية الولايات المتحدة في زيادة اشتعال الصراع ، الأمر الذي أملته بشكل كبير عدم خبرة الولايات المتحدة والشعب الأمريكي في السياسة الدولية ، كما زاد منها الافتراضات التي قامت عليها خلال فترة التحالف ، واعتبار أن هذا التحالف مع الاتحاد السوفيتي ضدّ النازية يعنى قبولاً

مشاركاً لأهداف سياسية وفشل الولايات المتحدة في أن تتوقع بروز المسائل الإقليمية التي كان لابد أن تثور صبيحة الحرب ، ثم الانسحاب السريع من أوروبا كل هذا جعل الولايات المتحدة معرضة لنوع من الصدمات حين أكد الاتحاد السوفيتي مطالبه في شرق أوروبا ، ومن ناحية أخرى فإن الاعتبارات التي فرضت سياسة الاحتواء اتجهت لأن تصبح حملة أيديولوجية وأصبح شعار « معاداة الشيوعية » ذاته هو الأيديولوجية الأمريكية ، وربما كان هذا في الواقع استجابة للحملات الكلامية والأيديولوجية السوفيتية . الأمر الذي جعل السياسة الأمريكية ترى التوسع السوفيتي باعتباره توسعاً ثورياً وغير محدود في غايته ^(١) . على هذا الأساس فإن الهجوم الشيوعي على كوريا الجنوبية بدلا من أن يفسر في الدرجة الأولى في نطاقه المحلي والتطورات الجارية في المنطقة أخذته الولايات المتحدة كدلالة على تصاعد التشدد الشيوعي بشكل عام ، وكحلقة في سلسلة خطوات أخرى يمكن أن تعبّر عن نفسها بعدوان مكشوف في أوروبا أو في مكان آخر على أن رد الفعل الأمريكي في كوريا والتفسيرات التي أعطتها للتطور هناك ، ربما ارتبط بشكل لا شعوري بحدثين سبقا على الفور الحرب الكورية وهما التفجير الذري السوفيتي والانتصار الشيوعي في الصين .

“A genda for the Nation”, The Brookings institution, 1968.

(١)

washington p. 376

الفصل الثمانى

إدارة جديدة فى كلّ من :

الولايات المتحدة . . والاتحاد السوفيتى

تمهيد

فى يناير عام ١٩٥٣ حلت فى الولايات الأمريكية إدارة جديدة جاءت بالحزب الجمهورى إلى الحكم بعد غيبة طويلة ، وأصبح الجنرال دوايت أيزنهاور رئيساً للجمهورية . وفى مارس من نفس العام توفى ستالين الذى ظل يسيطر ويوجه الحكم والسياسة فى الاتحاد السوفيتى ثلاثين عاماً ، وخلفته قيادةً جماعيةً بزعامة جورجى مالينكوف .

وسوف نجد فى البداية أن الزعامة الأمريكية الجديدة سوف تبدأ عصرها بمفهوم جديد « ونظرة جديدة » تعتبر بها أن أسلوب الإدارة السابقة عليها فى احتواء النفوذ السوفيتى كان أسلوباً قاصراً ، وسوف يرتبط ذلك ببذل الوعود « بتحرير » شعوب شرق أوروبا ، « ويدحر » الشيوعية غير أن سياستها فى التطبيق سوف تعجز عن تحقيق ذلك . أما فى الاتحاد السوفيتى فإن الزعامة الجديدة ستواجه وضعاً دولياً مثقلاً بالتوتر ستحاول أن تواجهه بأسلوب أكثر مرونة ، وبالتعبير أنه ليس ثمة مشكلة لا يمكن حلها بالطرق السلمية ، وإن كانت هذه البادرة لم تلق استجابة مشجعة من الولايات المتحدة ، ومع هذا فسوف تتوصل القوتان إلى تحقيق الهدنة التى طال توقّعها فى كوريا . غير أن تطوراً داخلياً سيحدث فى الاتحاد السوفيتى يخلف فيه نيكيتا خروشوف مالينكوف فى زعامة الحزب الشيوعى السوفيتى ، حيث ستساهم شخصية خروشوف والمواقف والسياسات التى سيطلقها سواء على المستوى النظرى أو العملى . إلى جانب تطور القوة النووية والاستراتيجية للاتحاد السوفيتى فى خلق مفاهيم جديدة للعلاقات السوفيتية الأمريكية ، وإن كان هذا سوف يثير سلسلة من

الأزمات التي ستحدث ، إلى جانب مناطق النزاع التقليدي في أوروبا والشرق الأوسط - إلى أمريكا اللاتينية حيث ستفجر المشكلة الكوبية التي ستعرف بأزمة الصواريخ الكوبية ، والتي ستمثل حداً فاصلاً في تاريخ العلاقات السوفيتية الأمريكية لفترة ما بعد الحرب الثانية ، وإذا كانت القيادة السوفيتية في شخص خروشوف قد أتبع لها الاستقرار حتى وقوع هذه الأزمة ، فإنها سوف تتزامن في الولايات المتحدة مع إدارة الرئيس كنيدي التي ستساهم بالشكل الذي عاجلت به أزمة الصواريخ الكوبية. وبتقييمها لدروس هذه الأزمة. ولستقبل العلاقات السوفيتية الأمريكية في وضع اللبنة الأولى لنشوء إطار جديد لهذه العلاقات سيرف سياسة الوفاق ، وسيكون مجال تقييد سباق التسلح النووي أول المجالات التي سيتجه إليها في هذا الشأن .

إدارة أيزنهاور :

حين أصبح ترومان رئيساً للجمهورية - أبريل ١٩٤٥ - كان يواجه أمةً تطلّع إلى العودة إلى العلاقات التقليدية المدنية والعسكرية ، وإلى السياسة التاريخية الأمريكية في عدم التورط أو التدخل الخارجي ، إلا أنه حين ترك البيت الأبيض ، فإن التراث الذي خلفه كان هو الوجود الأمريكي في كل قارة من العالم^(١) . وعلى هذا الأساس فإنه مع نهاية حكم ترومان كان يفاخر بأن سياسته قد استطاعت احتواء الشيوعية في أوروبا وآسيا . ومع هذا فإن هذا لم يقنع منافسيه الجمهوريين في انتخابات الرئاسة التي جرت عام ١٩٥٢ وانتهت بانتصارهم ، فخلال هذه الحملة

وصفوا سياسة الاحتواء التي مارسها إدارة الديموقراطيين بأنها سياسة سلبية وعقيمة وغير أخلاقية ، وكان أيزنهاور يعلن في دعايته الانتخابية « إننا لن نستريح أبداً حتى نحقق ملايين المستعبدين في العالم حريتها الكاملة وحقها في اختيار طريقها الخاص ، وحينئذ نستطيع أن نقول إن هناك طريقاً يمكننا من العيش في سلام وبشكل دائم مع الشيوعية في العالم^(١) .

ووعده دالاس الذي كان يُعدّ لوزارة الخارجية أن الولايات المتحدة في ظلّ الجمهوريين سوف تمسك بزمam المبادرة التي أتاحها الديموقراطيون للشيوعيين ، وأن إدارة الجمهوريين سوف تثبت للأمة أن روسيا وليست الولايات المتحدة هي التي ستقف موقف الدفاع* . وتوافق مع هذه الاتجاهات الأمريكية التي تتبعها على الأقل على المستوى النظري - إدارة الجمهوريين الجديدة في الولايات المتحدة ، وفاة ستالين ٣ مارس ١٩٥٣ وحلول قيادة جديدة بزعامة مالنكوف** .

(١) (Hall, "The cold war as history" op. cit., p. 269.

• لم يكن أيزنهاور نفسه متطرفاً ، وكان أبعد من أن يكون خبيراً في الشؤون الخارجية . وكرجل عسكري كان دائماً يتمسك بالحياد السياسي ، بل كانت فضيلته هي التوفيق بين القوى المتعارضة في الداخل ، أما دالاس فقد كان محامياً أكثر منه سياسياً ، وعلى هذا - وباعتبار الخصائص المميزة لشخصيته رئيس الجمهورية ووزير الخارجية - فإنه لم يكن غريباً أن ترتبط السياسة الخارجية في عهد أيزنهاور بشكل أكثر بشخصيته دالاس ، ولهذا فإذا كان يقال السياسة الخارجية لروزفلت أو السياسة الخارجية لترومان ، فإنه يمكن أن نشير إلى السياسة الخارجية لجون فومر دالاس .

•• على الرغم من أن ستالين في سنواته الأخيرة كان يقع تحت تأثير معاداة الولايات المتحدة واعتبارها القوة التي تسعى لتقويض السوفيتية والشيوعية في العالم ، إلا أنه في عام ١٩٥٢ بدأ مرحلة جديدة في إعادة تقييمه للأمور ، ربما تحت تأثير الحرب الكورية ونتائجها ، وانعكس اتجاه ستالين هذا في مقابله لجيمس - روستون محرر النيويورك تايمز في ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، وخلال هذه المقابلة دعا ستالين الرئيس المنتخب أيزنهاور للاشتراك في اجتماع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وظهرت العبارة التي سترابيد وتظهر بكثرة بعد =

وفي أول بيان ألقاه مالنكوف في ١٥ مارس قال فيه : « في الوقت الراهن ، فإنه ليس هناك مشكلة لا يمكن تسويتها بشكل سلمي وبالاتفاق المتبادل بين الأطراف المعنية ، وهذا ينطبق على علاقاتنا مع كل الدول بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية ^(١) . وقد اشتتم العالم من كلمات مالنكوف إشارة إلى احتمال قبول حلول وسط ، كما أن الإشارة إلى الولايات المتحدة دلت على محاولة أسلوب جديد للمسألة الكورية . وفي الواقع إن مفاوضات عقد هدنة في كوريا بدأت تحرز بعض التقدم بعد وفاة ستالين مباشرة ، كما ارتبط هذا بعدد من التنازلات الصغيرة التي وإن لم تكن تمثل برنامجاً جديداً شاملاً إلا أنها تخلق مناخاً من الاسترخاء .

فقد عرضت موسكو عقد مؤتمر للقوى الثلاث الكبرى لبحث السلامة الجوية فوق ألمانيا ، كما سحبت اعتراضها على تعيين هرشولد ، وأعادت العلاقات مع

= وفاة ستالين بشهور ، وهي تخفيف التوتر الدولي . Relaxation of International Tension

في هذه المقابلة سأله روستون : مع لحظة اقتراب عام جديد وتولى إدارة جديدة في الولايات المتحدة ، هل مازلت تعتقد أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يمكن أن يعيشا في سلام في الأعوام القادمة ؟ أجاب ستالين : إني مازلت أعتقد أن الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ليست أمراً لا مفر منه ، ولذلك فإن بلدنا يمكنها العيش سوياً كما في الماضي . وسأل روستون : هل تتعاون في جهد دبلوماسي جديد لإنهاء الحرب الكورية ؟ أجاب ستالين : إنني أوافق على التعاون طالما أن الاتحاد السوفيتي يهيم تصفية الحرب في كوريا .

وقد اعتبر أن ستالين بهذه التصريحات كان يريد أن يتقل رسالة إلى الإدارة الأمريكية الجديدة .

راجع : (Weeks, Albert, "The Troubled Detente" New York, university Press, 1976, p. 76-77.

(١) Dallin, David "Soviet Foreign Policy After Stalin" Philadelphia, Lippincott, 1961, p. 129.

إسرائيل ، وخفضت من هجومها على يوغوسلافيا وعرضت إعادة العلاقات الدبلوماسية كاملة معها ، وسحبت مطالبها الإقليمية من تركيا واقترحت تناولاً جديداً لمشكلة المضائق . كذلك بدأت الصحف السوفيتية تنشر بشكل أكثر وجهة النظر الغربية . أما أكثر العلامات وضوحاً على الرغبة في التفاهم من جانب القيادة الجديدة فقد تمثلت في مشاكل مسجونى الحرب الكورية التى أعاققت التوصل إلى تفاهم عام حول الأزمة . فبعد عودة القيادة الصينية من جنازة ستالين أعلن الصينيون والكوريون الشماليون موافقتهم على مقترحات الأمم المتحدة حول تبادل الأسرى ، وفى ٣٠ مارس أعلنت الحكومة الصينية موافقتها على مناقشة إعادة كل المسجونين . وكانت هذه الإجراءات هى التى مهدت للهدنة فى كوريا وإنهاء الحرب . وبالفعل وقعت الهدنة فى ٢٧ يوليو ١٩٥٣ وكان توقيعها تسجيلاً للحلقة الأولى من سلسلة المبادرات السوفيتية لإعادة العلاقات مع العالم الخارجى .^(١) وقد أثار مجيء قيادة سوفيتية جديدة والإشارات التى أبدتها نقاشاً فى الولايات المتحدة حول معنى هذا التطور وعمماً إذا كان على الولايات المتحدة أن تتجاوب معه* ، وقد حسم هذا النقاش بما يتفق ومواقف وآراء دالاس الذى قاوم وعمل

(١) Mackintosh, "Strategy and tactics of soviet foreign policy" op. cit pp. 74-76.

• يعبر عن اتجاهات أيزنهاور الشخصية من هذا التطور ما أسره المستشار John Hughes إننى متعب وأظن أن كل فرد متعب من توجيه اتهامات جديدة ضد النظام السوفيتى ، وأعتقد أنه سيكون من الخطأ أن أقف أمام العالم وأوجه اتهامات جديدة « ثم أكد أن البديل الذى يراه « هو أنى أود أن أقف وأقول : إنى لن أوجه اتهامات جديدة لهم حيث إنى معنى بالمستقبل خاصة وأن كلاً من حكومتهم وحكومتنا فيها رجال جدد ، فدعونا نبدأ فى الحديث مع بعضنا البعض . على التقيض من هذا كان دالاس يعتقد أنه من الخطورة إبداء أى شكل من التنازلات « لأن أى تنازل من السوفيت لن يحمى إلا نتيجة لضغط خارجى ، ولا أجد شيئاً تفعله أفضل من مواصلة الضغط » .

على أن تجيء الخطبة التي كانت تعدّ لكى يلقيها أيزنهاور تعليقاً على وفاة ستالين ومبادرات الإدارة الجديدة جافة ومثيرة وخالية من أى تنازل ، وحين قدم الخطاب فى ١٦ أبريل عام ١٩٥٣ جاء كخليط من الأمل الجديد وأساليب وعبارات الحرب الباردة .

فى هذا الخطاب تساءل أيزنهاور « ما الذى تستعد القيادة السوفيتية الجديدة لاتخاذہ ؟ هل هى مستعدة لأن تستخدم نفوذها الحاسم فى العالم الشيوعى . بما فى ذلك التحكم فى الأسلحة ، لا لكى تحقق مجرد هدنة فى كوريا وإنما لتحقيق سلام حقيقى فى آسيا ؟ هل هى مستعدة لأن تسمح للأمم أخرى بما فيها شعوب أوروبا الشرقية الاختيار الحر لشكل حكوماتها الخاص ؟ هل هى مستعدة لأن تتصرف بالتعاون مع الآخرين حول مشاريع جدية لترفع السلاح ^(١) . وأضاف أيزنهاور : إن هذا هو الوقت فى تاريخ الأمم الذى يجب أن تصنع فيه أخطر الاختيارات ، إذا ما أريد التحول نحو سلام عادل ودائم ، وفى سبيل هذا طالب السوفيت وقف النشاط الثورى فى كوريا ، ووضع شروطاً مسبقة للتفتيش على الموقع فى أى اقتراح لترفع السلاح ، الأمر الذى كان على العكس تماماً من موقف الاتحاد السوفيتى . كما ربط مستقبل ألمانيا الغربية بمستقبل الناتو ، وبذلك كانت مطالب أيزنهاور من السوفيت تكاد تكون دعوة إلى التخلّى عن أسس سياستهم الخارجية وأسس سياسة الأمن السوفيتية منذ نهاية الحرب .

وهكذا أثار خطاب أيزنهاور مخاوف السوفيت والقيادة الجديدة التى لا شك

= راجع : Nathan "U.S. Foreign Policy and world order", op. cit, p. 226
Ibid, p. 216.

Dallin, David "Soviet Foreign Policy After Stalin, op. cit, p.129. (١)

أثارها ما طالب به أيزنهاور من «إنهاء حقبة ما في السياسة السوفيتية» في الوقت الذي كان عليها أن تؤكد ، لاعتبارات كثيرة ، أمام حزبها والحركة الشيوعية العالمية استمرارية وصحة السياسة السوفيتية ، وربما ما أثار هذه القيادة بشكل أكثر حديث أيزنهاور عن «أمم أخرى» وعن حق شعوب أوروبا السوفيتية في الاختيار الحر لشكل حكومتها ؛ ذلك أنه أصبح من الواضح أن السياسة السوفيتية حتى لو كانت مستعدة لأي نوع من التنازلات ، إلا أنها لا تتضمن التخلي عن الولاء الكامل والتحالف المطلق بين دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، وقد نشرت جريدة البرافدا النص الكامل لخطاب أيزنهاور وعلقت عليه في ٢٥ أبريل «بأنه ليس في نيتنا أن ندخل في نقاش مع الرئيس حول بيانه الغريب عن «انتهاء حقبة ما في السياسة السوفيتية» إلا أننا لا نستطيع أن نقبل بدون دهشة ما انتهى إليه من أن الاتحاد السوفيتي يجب أن يتوقف عن مواصلة سياسته الخارجية ، وهي السياسة التي أثبتت صحتها كل التطورات الدولية» ، غير أن المسألتين اللتين كانت القيادة الجديدة على استعداد للمساومة حولهما هما كوريا ، والتي أشارت إليها البرافدا بأن موسكو سوف تساعد في إنهاء النزاع حولها ، وحول النمسا التي ذكرها التعليق بالقول إنه «فيما يتعلق بالمعاهدة مع النمسا فإنه يمكن أن نكرر أن هنا أيضا ليس ثمة مشاكل لا يمكن تسويتها على أساس من التفاهم الذي تم الوصول إليه بالفعل ، بشرط أن تحترم الحقوق الديمقراطية للشعب النمساوي» .

والواقع أنه ربما كان من المبالغ فيه توقع تحقيق إنجاز كبير في هذه المرحلة ، فكلتا الحكومتين كانتا مقيدتين بظروف فترة الانتقال ، وربما كان السوفيت يواجهون مهمة أصعب . كما أن أيزنهاور قد بدا أنه لا يتوقع استجابة جدية وأنه نظر إلى خطابه مجرد التسجيل أكثر من أن يكون جهداً حقيقياً وجدياً للتدليل به على التعاون

أما السوفيت فمع استنكارهم لمطالب أيزنهاور فقد أشاروا في ردهم إلى الاستعداد للتقدم إلى « مناقشات عملية جادة » ولكن كما عبر البعض فإن أحداً في البيت الأبيض لم يرفع سماعة التليفون^(١) .

ومن المفارقات أن ونستون تشرشل الذي يحتفظ بشك عميق في النوايا السوفيتية * قد دعا في ٢٠ أبريل سنة ١٩٥٣ إلى عقد مؤتمر ، وهو ما دعا إليه رسمياً أمام

(١) Nathan, "U.S. Foreign Policy and world order" op. cit, p. 227.

• يفسر بعض المؤرخين عدم استجابه واشنطون لما أبدته القيادة السوفيتية الجديدة بأن هذا قد توافق مع بروز المكارثية التي بدأت مع ١٩٤٩ وبلغها قمتها بحيث إن أى أحد كان يوحى بأن وفاة ستالين قد قللت من خطر التوامة الشيوعية كان يصبح موضع شك ، أو على الأقل يحرفه رأى الأغلبية المعارضة . ومن هنا نشأ اقتناع عام بأن أحداً يجب أن لا يتخذ أو يسمح لنفسه بأن يخدع بابتسامات القيادة الشيوعية الجديدة . بالإضافة إلى هذا فإن ثمة « مؤسسات » كان يهيمها معارضة الاتجاهات الروسية الجديدة مثل المؤسسة العسكرية التي كانت تخشى على ميزانياتها أن تنخفض . والمؤسسة الصناعية التي تنتج مواد الحرب وتعتمد على القروض الحكومية .

راجع : (Hall, "The Cold war as history", op. cit, pp. 314-316.)

• كان تشرشل أحد الشخصيات التي سجلت بدايات الحرب الباردة وصاغت مفهومها . ففي خطاب شهير له في فيلنوتن بالولايات المتحدة - ٥ مارس سنة ١٩٤٦ - عرف بعدها بخطاب « الستار الحديدي » قال : إن أحداً لا يعرف ما يعترم الاتحاد السوفيتي ومنظمة الشيوعية العالمية أن يفعله في المستقبل العاجل ، ولا ماهي الحدود - إن كان لها أى حدود في اتجاهاتها التوسعية ، إلا أن الحقائق حول الوضع الراهن في أوروبا واضحة . فن البلطيق حتى الأدرياتيك نزل ستار حديدي عبر القارة . وخلف هذا الخط ثرقد كل عواصم الدول القديمة بوسط وشرق أوروبا : وارسو ، برلين ، براج ، فينا ، بودابست ، بلغراد ، بوخارست ، صوفيا . كل هذه المدن الشهيرة وسكانها يرقدون فما يجب أن نسميه المنطقة السوفيتية . وجميعهم خاضعون بشكل أو بآخر ليس فقط للنفوذ السوفيتي ، وإنما لدرجة تتزايد من السيطرة السوفيتية ... »

راجع : Feis, "From Trust to terror". op. cit, p. 77)

وقد اعتبر ستالين هذا الخطاب دعوة لإعلان الحرب على الاتحاد السوفيتي .

مجلس العموم البريطاني في ١١ مايو سنة ١٩٥٣ ، معتبراً أن القادة الجدد في الاتحاد السوفيتي إنما يوحون « بتطور صحي في روسيا » وتغير في الاتجاهات السوفيتية « وأعلن أنه من الخطأ افتراض أن شيئاً لا يمكن تسويته مع روسيا السوفيتية ما لم أولحن تسوية كل شيء »^(١) غير أن اقتراح تشرشل قد قوبل في الولايات المتحدة بالرفض ورفض أيزنهاور في اجتماع مع حكومته هذه الفكرة ووصفها بأنها سخيفة ، وعبر دالاس عن شكه في « أن تتحقق أي نتائج هامة من مؤتمر على مستوى عالٍ يضم قادة روسيا السوفيتية طالما أنهم يشيرون حرباً عدوانية في كوريا . وحرباً عدوانية في الهند الصينية ضد لاوس . وطالما أنهم في أوروبا يرفضون إعادة الاستقلال للنمسا وسحب قوات احتلالهم من هذا القطر الصغير المسالم »^(٢) .

وقد انتهى هذا الاقتراح - الذي أيده الاتحاد السوفيتي ، بعقد مؤتمرين على مستوى وزراء خارجية الدول الأربع ، أحدهما هو مؤتمر برلين ، ثم مؤتمر جينيف الذي خصص لبحث الوضع في الشرق الأقصى . وقد بدأ مؤتمر برلين في ٢٥ يناير سنة ١٩٥٤ . وفي البيان الذي صدر عن المؤتمر بعد ذلك أن « الوزراء الأربعة قد تبادلوا بشكل كامل وجهات النظر حول المشكلة الألمانية ومشكلات الأمن والمسألة النمساوية ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى اتفاق حول هذه الأمور » والواقع أن أهمية مؤتمر برلين في نطاق السياسة السوفيتية تجاه الولايات المتحدة - خاصة في علاقاتها مع أوروبا الغربية - هي أن السياسة السوفيتية التي بدت في هذا المؤتمر

(١) Eulank, Keith "The Summit Conferences, 1919-1960," university of Oklahoma Press 1970

Deutcher, "Ironies of history" op. cit, p. 159.

وأيضاً :

Dallin "Soviet foreign Policy after stalin" op. cit, p. 199.

(١)

أصبحت تمثل الثبات والتصميم على تصفية الوجود الأمريكى فى الشئون الأوربية ، والعمل على سحب القوات الأمريكية من القارة ، وقد بدأ هذا الخط بوضوح فى المؤتمر حين أعلن مولوتوف بشكل صريح - وإن لم يخلُ من تردد - إن تصفية الوجود العسكرى الأمريكى من أوربا هو الهدف الرئيسى للدبلوماسية السوفيتية^(١) .

وقد فسر هذا السلوك السوفيتى من جانب الولايات المتحدة كدلالة أوسع على اتجاه السياسة السوفيتية فى عهد القيادة الجديدة ، وعلى أنه حتى لو كانت هذه القيادة قد تخلت عن الأساليب والأشكال الجامدة التى كان ستالين ينفذ بها سياساته الخارجية ، إلا أن هذه السياسة مستمرة بمعانى كثيرة على أساس الخطوط القديمة ، وأن تفسيرها لأحداث العالم مازال جزءاً من النظرية القديمة والاتجاه القديم .

وقد ساعد هذا التفسير للسلوك والسياسة السوفيتية على دفع وتنمية عقائد وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس حول الطرق الفعالة فى مواجهة الخطط السوفيتية وأدى هذا بدالاس إلى الاعتقاد أن السياسة البديلة لسياسة الاحتواء كما طبقها الديموقراطيون هى سياسة الانتقام الشامل

Massive Retaliation وفسر دالاس نظريته فى خطاب ألقاه عام ١٩٥٤ ذكر فيه بأقوال ستالين ولينين ؛ لكى يوضح أن السوفيت يخططون للانقضاض على العالم الحر وتدميره بضرية واحدة . واعتبر دالاس أن الولايات المتحدة يجب أن تواجه هذه الاستراتيجية بالاحتفاظ باحتياطي استراتيجى ضخمة فى الولايات المتحدة وأن على العالم الحر أن يكون « مستعداً وقادراً لأن يرد بقوة فى أماكن ووسائل خاصة ومن اختياره الخاص^(٢) وبذلك اعتبر دالاس أن سياسة

(١) Deutcher, "Russia, china and the west", Benguin Books 1970. P. 15.

(٢) Ambrose, "Rise to globalism", op. cit, p.

الردع الشامل يجب أن تكون هي الأداة الرئيسية لسياسة الاحتواء* .
وتحقيقاً لهذه السياسة اتجه دالاس إلى استكمال سلسلة التحالفات بدأت بها سياسة الاحتواء . فكما كانت منظمة حلف شمال الأطلسي هي وسيلة احتواء النفوذ السوفيتي من البلطيق إلى البحر المتوسط ، فقد أنشئ حلف الـ NATO لحلمة نفس الهدف من الفلبين حتى باكستان . كما اتجهت سياسة الأحلاف الجديدة إلى غلق الفجوة بين حلفي الـ NATO, Seato بإقامة حلف جديد لحصار روسيا في الشرق الأوسط هو حلف بغداد الذي ضمّ باكستان وتركيا وإيران وبريطانيا والعراق .
وقد علقت الحكومة السوفيتية على هذه السياسة الأمريكية في عدد من البيانات . ففي مذكرة أذيعت بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٥ قالت : « كأداة لوصل الـ NATO' Seato فإن حلف بغداد يمثل تهديداً للسلام ، ليس فقط في الشرق الأوسط ، وإنما خارج المنطقة كذلك . في هذا الخصوص فإن ربط كتلة بغداد بالتجمعات العسكرية السابقة سيزجّ بأقطار الشرقيين الأدنى والأقصى في الصراع

* عرفت سياسة دالاس وأسلوبه الشامل بسياسة الحافة Brinkmanship وقد شرح هذه السياسة في مقال في مجلة تايم قال : « إنه يجب أن ننهر فرصاً للسلام مثلاً ننهر للحرب . وقد يقول البعض إننا نقرب من حافة الحرب - وطبعاً فقد اقتربنا من حافة الحرب - وإن القدرة على أن تصل إلى الحافة دون أن تدخل الحرب هي الفن المطلوب ، فإذا ما حاولت أن تهرب منها وتملكك الخوف من أن تصل إلى الحافة كان في هذا مقتل .. »
راجع : Ambrose, "Rise to globalism" op. cit., pp. 221-225.

ويفسر البعض هذه السياسة بأنها كانت تعني أن الولايات المتحدة تضع حداً فاصلاً حول حدود المعسكر الشيوعي . فإذا ما عبر الاتحاد السوفيتي أو الصين هذا الخط في عمل تعتبره الولايات المتحدة عدواناً فإن الاستجابة أورد الفعل لن يكون عملياً وليس محدوداً . ولكن شاملاً وموحها نحو المدن السوفيتية .

راجع : Werth, Alexander, "Russia at war", Barrie & Rockliff, London, 1964.

المسلح الذى يمكن أن ينشأ فى أماكن أخرى من العالم^(١) .
 كما واصلت الولايات المتحدة سياستها فى غلق دائرة احتواء السياسة السوفيتية
 بمزيد من الدعم للتحالف الغربى ، وفى موضع من أخطر مواضعه وأكثرها حساسية
 بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، فقد أعطيت ألمانيا الغربية حق رفع جيشها إلى نصف
 مليون جندي ، وإن كان قد اتفق على أن لا تنتج أى أسلحة ذرية ، وأكثر من هذا
 فقد قبلت ألمانيا الغربية كعضو فى حلف شمال الأطلسى فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ .
 وجاء الرد السوفيتى على هذه الخطوة بإقامة تحالف عسكرى مقابل بين بلدان
 الكتلة الشرقية . فى مؤتمر عقد ما بين ١١ - ١٤ مايو ١٩٥٥ فى وارسو ووافق على
 إقامة « حلف للمساعدة المتبادلة والقيادة الموحدة » وتضمنت المادة ٥ - وهى الماثلة
 للمادة ٥ من معاهدة شمال الأطلسى - إن « الأقطار المتعاقدة قد وافقت على إقامة
 قيادة مشتركة للقوات المسلحة . . كما أنهم سوف يتخذون كذلك إجراءات أخرى
 متفق عليها لتقوية قوانينهم الدفاعية » ولتأكيد هدف غير عسكرى للتحالف نصت
 المادة ٦ على إنشاء « لجنة سياسية استشارية »^(٢) . كما أعلن أن قيادة القوات
 العسكرية الموحدة قد أسندت إلى ماريشال سوفيتى لكى يقابل بهذا الجنرال
 الأمريكى الذى يقود قوات حلف الأطلسى .

وهكذا كانت سياسات فوستر دالاس انعكاساً عملياً للمناخ السياسى الذى
 تطوّر ونراكم منذ عام ١٩٤٦ ، وتبلور فيما أصبح عدم ثقة عميقة وتخوف من
 جانب الولايات المتحدة فى نوايا الاتحاد السوفيتى . ومع عام ١٩٥٣ أصبحت

(١) Hall, "Cold war as history", op. cit., pp. 398-98.

(٢) Jain, J.P. "Documentary study of the warsaw pact" Asia Publishing House, Pombay, 1973, pp. 119

السياسة الخارجية الأمريكية كلها تقوم على افتراضات ومفاهيم الحرب الباردة . وعلى افتراض أن موسكو مصممة على أن تتقدم بالعنف والقوة لفرض أيديولوجيتها ونظامها السياسي وسيطرتها على العالم أجمع . وفي داخل وزارة الخارجية الأمريكية استمر المتخصصون في السياسة السوفيتية - على الأقل لمدة عام ونصف بعد وفاة ستالين - يحررون التقارير عن خلفاء ستالين على أنهم لا يمثلون أى تغير حقيقى في الأهداف أو السياسات والاتجاهات الأساسية لموسكو ، وكانوا مقتنعين أن ماركس ولنين وستالين ومارتس تونج وخروشوف إنما يخدمون جميعاً حركة متصلة ومستمرة ، وأنهم وإن كانوا من حين لآخر يختلفون في تناولهم لهذه الحركة فإن هذا لا يمثل فقط إلا مناورات تكتيكية أكثر منها تغيراً أساسياً^(١) .

وبالرغم من التحرك الطفيف في السياسة السوفيتية في منتصف الخمسينات . والذي عبرت عنه المعاهدة النمساوية وروح جنيف عام ١٩٥٥ ، فإن هذه الفترة نفسها قد أصبحت هي فترة التشدد في السياسة الخارجية الأمريكية وكانت خطب جون فوستردالاس مليئة بالشعارات الضخمة التي تعبر عن جمود وتشدد الاتجاه الجديد للولايات المتحدة ، مثل « التفاوض من مركز القوة » « والانتقام الشامل »^(٢) وما شابه .

Hall, "The Cold war as history", op. cit., pp. 316-317.

(١)

Northedge (ed.) "The Foreign policy of the Powers" Föber, London, (٢)

1968, p. 59.

التطور العسكرى للاتحاد السوفيتى

من المهم أن نتبع فى هذه المرحلة تطور قدرات الاتحاد السوفيتى العسكرى - خاصة فى مجال القوى الذرية والأسلحة غير التقليدية - وهو التطور الذى سيعمل على مسايرة قدرات الولايات المتحدة فى هذا المجال ، والذى سيصل بالقوتين إلى وضع يقدرّون فيه ضرورة تكييف ممارساتهم وعلاقاتهم الثنائية والدولية ، وخلق إطار جديد لهذه العلاقات يراعى هذا العنصر الخطير فى علاقاتهم .

وقد رأينا كيف كانت استجابة ستالين حين أسقطت الولايات المتحدة القنبلة الذرية على اليابان فى أغسطس سنة ١٩٤٥ : حيث علّق بقوله : « إني لا أظن أن القنبلة الذرية هى قوة خطيرة كما يريد بعض الساسة أن ينظروا إليها ، وإذا كانت القنبلة الذرية تخيف بعض ذوى الأعصاب الضعيفة إلا أنها لا تستطيع أن تغير طبيعة الحرب طالما أن القنابل الذرية غير كافية بأى حال لهذا الغرض »^(١) . وبرغم هذا فإنه من الصعب أن نقرر ما إذا كان تفسير أوردّ فعل ستالين هذا تجاه القنبلة الذرية مدفوعاً برغبته فى أن يقلل من شأنها فى وقت لم يمتلك فيه الاتحاد السوفيتى بعد مثل هذه القنبلة ، وأن لا يشعر خصمه أن امتلاكه لها يمثل ميزة استراتيجية كبيرة على الاتحاد السوفيتى ، أو أن هذه الاستجابة كانت حقاً نتيجة لتقدير ستالين لعناصر القوة العسكرى* .

(١) Mackintosh, "Strategy and Tactics of Soviet Foreign Policy", op. cit.

* فى الأمر العسكرى الصادر فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٢ حدّد ستالين فكره العسكرى ورؤيته لعناصر القوة العسكرى فاعتبر أن هناك خمسة عناصر دأمة هى التى تقرر وتكسب الحرب :

غير أن الشيء الثابت أن ستالين قد أعطى لامتلاك الاتحاد السوفيتي لهذا السلاح اهتمامه ووجه طاقات الاتحاد السوفيتي العلمية والتكنولوجية إلى هذا الاتجاه . وقد عبر خروشوف في مذكراته عن اهتمام ستالين هذا فقال : « كانت أكثر المشاكل إلحاحاً التي واجهتنا بعد الحرب هي الحاجة إلى بناء الأسلحة الذرية ، فقد كان علينا أن نلحق بالولايات المتحدة التي كانت الأولى في تطوير القنبلة الذرية والأولى في استخدامها في الحرب . . . وقد استخلص ستالين النتيجة الصحيحة فرأى أن القوى الرجعية للغرب تتحرك ضدنا وتراكم لديها مئات من القنابل الذرية ، وأن احتمال صراع عسكري مع الولايات المتحدة كان ممكناً ، ولم يكن على الإطلاق مشجعاً لنا » (١) .

وكانت نتيجة هذا التركيز السوفيتي في عهد ستالين على إنتاج الأسلحة الذرية أن فجر الاتحاد السوفيتي قنبلة الذرية عام ١٩٤٩ كما توصل إلى تفجير القنبلة

١ - استقرار الجبهة الداخلية

٢ - الحالة المعنوية للقوات المسلحة

٣ - عدد ونوعية فرق هذه القوات

٤ - الأسلحة والقوات المسلحة

٥ - قدرات القادة .

كما اعتبر ستالين أن عناصر مثل المناخ والمفاجأة والخصائص الجغرافية والطبيعية هي عناصر مؤقتة قد تؤثر في مجرى الحرب إلا أنها لا تنحصر نتيجة النهائية . . . وعنده أن المجتمعات الرأسمالية لا تمتلك مجموعة العناصر الدائمة ، ولهذا فهي محكوم عليها بالهزيمة ضد الاتحاد السوفيتي ، ولذلك اعتقد ستالين أن السياسة الدفاعية الصحيحة للاتحاد السوفيتي في زمن الحرب هي إعداد البلد للتراجع المخطط في المؤخرة ولمسافات شاسعة بشكل يهلك العدو ، وفي الوقت الذي ستحقق فيه التعبئة الكاملة فإن كل العناصر الدائمة سوف تبدأ عملها ويتم تدمير العدو في هجوم مضاد شامل .

(Ibid, p. 91).

راجع :

Weeks, "The Troubled Detente" Op. cit, pp. 74-75.

(١)

الهيدروجينية في أغسطس سنة ١٩٥٣ أى بعد ثلاثة أشهر من وفاة ستالين ، الأمر الذى أوحى أن الإعداد لها والوصول إلى مراحلها النهائية تمّ في عهده . وبعد وفاة ستالين ، ومع النقاش الذى دار خلال عهد خلفه مالمينكوف حول أولويات توجيه المصادر للصناعة الثقيلة أو الخفيفة* . دار نقاش آخر بين العسكريين السوفيت حول شئون الدفاع والنظرية العسكرية ، وهى المناقشة التى دارت حول تقييم ستالين للعناصر الدائمة للقوة العسكرية ، وارتباط ذلك بتأثير الأسلحة الذرية على الحرب الحديثة . وقد بدأت هذه المناقشات مع عام ١٩٥٣ وإن كانت لم تصبح علنية إلا بعد تنحى مالمينكوف عام ١٩٥٥ . وتشير الدلائل المتاحة أن نقطة البداية في تفكير مجموعة العسكريين السوفيت هى أنه يجب - وخاصة في العصر الذرى - عدم التسليم بشكل مطلق بمجموعة العناصر الدائمة للقوة العسكرية كما حددها ستالين ، ووضعوا مجموعة من الأهداف الجديدة تماماً للقوات المسلحة والتى كانت تتضمن معانى هامة بالنسبة للسياسة الداخلية والخارجية . وقد لفت هؤلاء المفكرون العسكريون ، والذين شغل عدد منهم مناصب هامة في المؤسسة الدفاعية بعد عام ١٩٥٥ ، لفتوا النظر إلى أن الهجوم الذرى يمكن أن يشلّ البلد قبل أن تبدأ العناصر الدائمة في أن تفعل فعلها ، وكان المؤثر على هذا الاتجاه المقال الذى كتبه

.. في هذا النقاش كان مالمينكوف يميل إلى إعطاء الصناعات الخفيفة اهتماماً أولاً على أساس أن النجاح الذى نحققه أولاً في تطوير الصناعة الثقيلة يمكن أن يسمح بتحقيق ارتفاع هام في إنتاج المواد الأولية يعرض المواطن السوفيت عن الشغف الذى عاناه حتى الآن . غير أن اتجاه مالمينكوف هذا قوبل بمعارضة قوية وخاصة من أعضاء لجان التخطيط الذين اعتبروا أن بناء قاعدة الصناعات الثقيلة لا يسمح بعد بهذا التطور ، كما عارض من جانب أعضاء القيادة الأخرى على أساس أن المناخ الدولى لا يشجع بعد هذا الاتجاه . وقد كان هذا الخلاف من الاعتبارات الأساسية وراء اعتزال مالمينكوف ..

راجع : Deutcher, "Russia, China and the west", op. cit, pp. 29-30.

قائد القوات المدرعة في ٢٤ مارس سنة ١٩٥٥ في جريدة الجيش . وقد اهتم القائد السوفيتي على أن يؤكد أولاً على استمرار العناصر الدائمة وصلاحيتها « إنه يمكن أن نفهم بسهولة الأهمية المتزايدة لعنصر المفاجأة وأنه لا يقل أهمية عن العناصر الدائمة في تقرير نتيجة الحرب بل إن دور وأهمية هذه العناصر يتزايد ، إلا أنه أضاف بعد هذا الأخطار التي خلقتها الأسلحة الذرية إنه من المهم أن نقرر بوضوح ، أنه في عدد من الحالات فإن عدواناً مفاجئاً تستخدم فيه الأسلحة الذرية والهيدروجينية قد يكون واحداً من العناصر الحاسمة في تحقيق النجاح ، لا في المرحلة الأولى من الحرب ، ولكن في الحرب في مجموعها^(١) .

كما كتبت مجلة الفكر العسكري السوفيتية بما يعني أن عدداً من العناصر التي يجب أن تؤثر في النظرية قد بقيت مهملة في السنوات الأخيرة « إن الفن العسكري للجيش السوفيتي يجب أن يأخذ في الاعتبار سلسلة كاملة من الظواهر الجديدة التي ثارت فيما بين الحرب ، ومن الآن فصاعداً أصبح طبعياً في البيانات السوفيتية أن تركز اهتماماً جدياً للتقدم وإمكانيات التكنولوجيا العسكرية ومع بداية عام ١٩٥٤ كان هناك جهدٌ منظمٌ لإنجاز التفكير حول مشاكل وإمكانيات العلم العسكري الذي خلقه إدخال نظام جديد للأسلحة^(٢) .

غير أن هذا لم يكن يعني تحولاً متطرفاً في تقييم الاعتبارات العسكرية ، فتقييم ما أدخلته الأسلحة الجديدة وإقامة مكان لها في التفكير العسكري السوفيتي ، لم يعن سيطرة هذا العنصر الجديد وحده على هذا التفكير والتقليل من قيمة بقية العناصر ،

(١) Mackintosh, "Strategy and Tactics of Soviet Foreign Policy", op. cit, p. 93.

(٢) Roymond L. Garthaff, "Soviet Strategy in Nuclear age", Atlantic Books, F. Brager, New York, 1958, p. 66.

أو بناء استراتيجية تعتمد على سلاح واحد فقط مهما كانت قوته ، وقد عبّر عن هذا المارشال Maskolanko بما يلي : « إن العلم العسكري السوفيتي يرفض بحسم النظريات البرجوازية التي تقول إنه في الإمكان تحقيق نصر استراتيجي باستعمال سلاح جديد أو آخر ، فليس هناك أسلحة تمتلك قوة استثنائية أو فائقة . . فالفكر العسكري السوفيتي يعتبر أن الاعتماد الكلي على سلاح واحد - حتى لو كان أكثرها قوة - سيؤدي حتماً إلى الفشل . إن أي نوع من السلاح الجديد إنما يمثل جزءاً من تكنولوجيا العسكرية المركبة ، ومن ثمّ فهو غير قادر على حلّ كلّ مشكلات الحرب المعاصرة إن النصر في الجيوش المعاصرة إنما يتحقق بالجهود المجتمعة لكلّ الأسلحة »^(١) .

غير أن ظهور مثل هذا الاتجاه في التفكير العسكري بعد عام ١٩٥٥ لم يكن يعني أنّ مالينكوف كان يختلف أولاً يرى العنصر الجديد الذي أدخلته الأسلحة الذرية ، وخاصة بعد اكتشاف الاتحاد السوفيتي للأسلحة الهيدروجينية في أغسطس عام ١٩٥٣ في نوفمبر سنة ١٩٥٣ . ظهر مقال في مجلة الحزب Zuevda يقول : « إن الأسلحة الذرية قد أظهرت إمكانية شلّ قانون حتمية الحرب ، وإن هذا يستوجب إيجاد سياسة خارجية تتضمن مساومات وتنازلات حكيمة » . كما أن شخصية سوفيتية كبيرة مثل ميكويان خلال زيارته للولايات المتحدة عام ١٩٥٤ ربط بين تقليل خطر الحرب وبين امتلاك الاتحاد السوفيتي للأسلحة الذرية والهيدروجينية . بل إن مالينكوف قدّم تقريباً أول ربط بين صعوبة استمرار الحرب الباردة وخطورتها في ظلّ أسلحة الدمار ممثلة في الأسلحة الذرية والهيدروجينية .

فقال في مقال في ٢٢ مارس سنة ١٩٥٤ : إن الحكومة السوفيتية تعارض بشدة الحرب الباردة ؛ ذلك لأن هذه السياسة هي سياسة الاستعداد لمجزرة عالمية أخرى .
والتي تعنى بالنظر إلى الأساليب الحديثة في الحرب تدمير المدنية العالمية (عاد مالنكوف بعد هذا بأسابيع - ربما تحت ضغط العناصر المتشددة - فقال : إنه برغم أن مثل هذه الحرب سوف تنزل أضراراً جسيمةً بكلا الطرفين - إلا أن نتائجها النهائية هو فناء الرأسمالية)^(١) .

ويمكن القول - برغم أن هذا الاتجاه لم يكن يمثل بعد تياراً واضحاً محدداً في الفكر العسكري والسياسي السوفيتي تجاه قضية السلام والحرب - فإنه كان بدايةً للنظرية التي ستبلور فيما بعد باعتبار أسلحة الدمار الشامل كرادع للحرب ، وأنه بالنظر إلى ما ستلحقه بالجانبين المتصارعين من درجة ونوعية التدمير فإنها لن يلجأ إلى المخاطرة بالدخول في حرب لها مثل هذه الأبعاد ؛ ولذلك فإنه يتعين عليهما أن يمارسا ضبط النفس وأن يضعوا الحدود التي تحول دون وقوع حرب عالمية .

الفصل الثالث

نحو ذوبان الجليد في الحرب الباردة

خطوات نحو التفاهم

مؤتمر جنيف - كامب دافيد - مؤتمر باريس

مثل عصر خروشوف فبراير سنة ١٩٥٥ - أكتوبر سنة ١٩٦٤ - برغم الذبذبات التي تميّز بها ، مثل علامة بارزة في السياسات الداخلية والخارجية للاتحاد السوفيتي . وقد شهدت الشهور الأولى من حكمه تجديداً عاماً يستهدف الإيجاء بجهود تخفيف التوتر ، حيث خفضت الرقابة على المراسلين الأجانب ، وسمح للدبلوماسيين الأجانب بزيارة مشروعات الطاقة الذرية السوفيتية ، كما ارتبطت الحكومة ببرنامج واسع لتبادل الزيارات مع الغرب . وبدأت عبارات « تخفيف التوتر الدولي » تسود الصحافة السوفيتية واللغة الدبلوماسية خلال هذه الأعوام . ومن ناحية أخرى اتخذت الحكومة السوفيتية عدداً من الإجراءات المرضية للغرب والتي تضمنت رغم معارضة ومقاومة مولوتوف وزير الخارجية :

(١) التصديق - في مايو سنة ١٩٥٥ - على المعاهدة مع النمسا والتي وافق بمقتضاها الاتحاد السوفيتي على حيادها وجلاء القوات السوفيتية عنها ، وتصفية المراكز الاقتصادية السوفيتية فيها ، ويعقد هذه المعاهدة تحلى الاتحاد السوفيتي عن موقفه التقليدي السابق الذي كان يتمسك فيه بربط حلّ المسألة النمساوية بحلّ مسأله برلين* .

* يخضع تغير السوفيت لموقفهم لعدد من التفسيرات يعتبر أحدها أنهم قد أدركوا أن الميزان الذري الجديد يجعل تنازلهم الإقليمي غير المحدد المعالم في النمسا أقل أهمية - فضلاً عن أن التسامح مع الحياد في أوروبا يمكن أن يكسب محايدين في أماكن أخرى في العالم . وكما عبرت الكتابات السوفيتية « فإن قبول النمسا للحياد إنما =

(ب) إقامة علاقات دبلوماسية مع حكومة ألمانيا الاتحادية .
 (ج) إعادة القاعدة البحرية بوركالا إلى فنلندا التي كانت قد أجزتها بعد الحرب إلى الاتحاد السوفيتي لمدة خمسين عاماً .^(١)

وقد توافق مع هذه البوادر في ربيع عام ١٩٥٥ ظهور ضغوط من عدد كبير من الدوائر لعقد مؤتمر قمة لمحاولة إيجاد حلول للمشكلات المستمرة للحرب الباردة ، وكانت موسكو في الواقع تضغط من أجل مثل هذا المؤتمر على أساس أن هذا يؤكد ما بدر عنها من تحركات لتخفيف التوتر الدولي ، وفي الولايات المتحدة كان الرئيس أيزنهاور ينظر بأمل لمثل هذا المؤتمر ؛ إلا أن اتجاه سياسة وزير خارجيته فوستر دالاس كانت على النقيض تماماً ، وهو الموقف الذي ظل يتبناه منذ أن دعا تشرشل لمثل هذا المؤتمر^(٢) .

غير أن الموقف الاستراتيجي كان قد تغير . فإذا كان دالاس قد تجاهل عام ١٩٥٣ تفجير الاتحاد السوفيتي للقنبلة الهيدروجينية إلا أن السوفيت مع عام ١٩٥٥ لم يكن قد تراكم لديهم الأسلحة الهيدروجينية فحسب ، وإنما كذلك طائرات عابرة للقارات تحمل هذه الأسلحة إلى المدن الأمريكية^(٣) .

وفي ١٩ مايو سنة ١٩٥٥ أجرى السوفيت استعراضاً عسكرياً عرضوا فيه كميات كبيرة من أحدث قاذفاتهم الطويلة المدى ، وبعد ذلك بأسبوع سافر القائد

= يخدم كنموذج لعدد آخر من الأقطار ويظهر أنه في الظروف الدولية الراهنة فإنه حتى دولة رأسمالية صغيرة تعتمد على تأييد القوى المحبة للسلام يمكن أن تتبع سياسة مستقلة وتمتع عن الاشتراك في معسكرات القتل الإمبريالية ..

Hall "The Cold war as history" op. cit, p. 94.

(١)

Ibid

(٢)

Fleming, "The Cold war and its origins" op. cit, p. 797

(٣)

السوفيتي الجديد خروشوف إلى يوغوسلافيا في محاولة لسد ثغرة خطيرة في السياسة الخارجية السوفيتية منذ ستالين ، وفي نفس الوقت كان السوفيت يشرعون في برنامج للمساعدة الاقتصادية للعالم الثالث .

وكان واضحاً من كل هذا أن الاتحاد السوفيتي بدأ يرتفع فوق الظروف المعقدة التي عاصرت ستالين ويأخذ منحى آخر في سياسته . وقد أثار هذا كله إحساساً لدى الولايات المتحدة والغرب بوجه عام بأن ثمة قواعد جديدة مطلوبة للحرب الباردة ، خاصة بعد أن أظهرت مناورات الناتو في يونيو من نفس العام أنه إذا ما ثار صراع في أوروبا فإن ١٧١ قنبلة ذرية يمكن أن تسقط على غرب أوروبا وبالنسبة للولايات المتحدة فقد بدأ الإدراك يتزايد بأن الاستمرار في اتخاذ موقف لا يتسم بضبط النفس في عداتها لروسيا أمر لم يعد يستقيم ، خاصة بعد أن انتهى احتكارها الذري وتفوقها الحاسم بشكل وجدت فيه أن بلادها لم تعد من الممكن الدفاع عنها . وهكذا وصل الموقف إلى أنه برغم توفر الدواعي لإنهاء الحرب الباردة ، فقد أضيف إليها الآن الضرورة القاسية للحفاظ على النفس . كل هذه الاعتبارات بالإضافة إلى ميول أيزنهاور السلمية ، جعلت من عقد مؤتمر يشترك فيه قادة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مع بريطانيا وفرنسا أمراً ممكناً ، وهو ما تحقق في ١٨ يوليو سنة ١٩٥٥ في جنيف^(١) .

وفي ١٤ يوليو وقبل أن يتوجه إلى المؤتمر ، قال خروشوف : إنه « إذا ما تحدثت الولايات المتحدة إلينا بأمانة وإخلاص فسوف نخرج من المؤتمر بشيء ما » ، وقال أيزنهاور بعد ذلك بيومين : إنه سوف يقدم الموقف الأمريكي بشكل أمين وبرغبة في

التصالح وبلا تحيز أو رغبة في الخصام». أما دالاس فقد ظل على موقفه المتشدد، إن لم يكن المعادي لأي تصالح. معرباً عن شكوكه في أن ينتج عن هذا المؤتمر أى تخفيف للتوتر. وأن على الولايات المتحدة أن تعيش كأمة مهددة بالخطر كما ألمح إلى أن مشكلة أقطار أوروبا الشرقية التابعة للاتحاد السوفيتي يمكن أن تثار، وأن التنازلات السوفيتية في يوغوسلافيا والنمسا تشير إلى تراجعات مشابهة لروسيا في بقية أوروبا^(١).

وقد جعلت ملاحظات دالاس تلك الاتحاد السوفيتي في خطاب في ٢٦ مايو. والذي قبل فيه الدعوة إلى المؤتمر بتحفظ إزاء «... بعض بيانات قادة الولايات المتحدة، التي تؤكد أن الولايات المتحدة إنما تتصرف من مركز القوة... كما تحفظ الخطاب السوفيتي على البيانات الأمريكية التي تقول: «... بضرورة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. الأمر الذي يمكن أن يحكم مقدماً بالفشل على المؤتمر»^(٢).

وقد اجتمع مؤتمر جنيف في ١٨ يوليو سنة ١٩٥٥ ورأس أيزنهاور المؤتمر باعتباره رئيس الدولة الوحيدة الحاضر وعبر عن أمله في إمكان خلق روح جديدة يمكن أن تقدم حلاً مقبولاً للمشكلات القائمة. كما اقترح قيام وحدة ألمانية وفقاً لانتخابات حرة. وعن استعداداته لأن يضع في الاعتبار المصالح السوفيتية المشروعة. أما بولجانين فقد أعلن «أن المؤتمر سوف يلعب دوراً هاماً إذا ما أبدى كل جانب رغبة حقيقية في الوصول إلى تخفيف للتوتر الدولي وخلق شعور بالثقة بين الأمم، كما

Ibid

(١)

Hilsman, Roger & Robert Good (eds). 'Foreign Policy in the sixties, the issues and instruments', John Hopkins Press, 1965, p. 169. (٢)

أعلن أن ألمانيا يجب أن تكون حرة من أى التزامات عسكرية تجاه الغرب ، فالوحدة ليست هى المشكلة الرئيسية وباعتبار أن ألمانيا موحدة الآن ، فإن زمناً طويلاً يجب أن يمر قبل أن تتوحد . وهكذا أنهى بولجانين آمال الآخرين فى أن يضع المؤتمر أساساً للوحدة الألمانية ، وقد كشف الجانب السوفيتى عن أن الثمن الذى يقبله لأى وحدة ألمانية هو أن تكون ألمانيا بدون أى روابط مع الغرب^(١) .

وبناءً على طلب الوفد السوفيتى ، وافق المؤتمر على مناقشة مستقبل ألمانيا والأمن الأوروبى معاً . وقدم بولجانين مشروع معاهدة تكون الولايات المتحدة طرفاً فيها ، تخطط وتضع خطوط التقدم نحو الأمن الأوروبى على مراحل ، فى البداية سيظل حلفاً الأطلنطى ووارسو قائمين ولكن من خلال خفض التدريجى للقوات والصلات المتحسنة واتفاقيات نبذ استعمال القوة فى تسوية المنازعات الدولية ، فإن كلا المنظمتين سوف تستبدل بهما معاهدة أوروبية واحدة . الأمر الذى اعتبرته الولايات المتحدة محاولة لتصفية حلف الأطلنطى . وإزاء هذا اعترف أيزنهاور بأن الرؤساء لا يستطيعون الاتفاق على ما كان مقدراً أن يتفقوا حوله ، وعبر عن أمله فى أن يتمكن وزراء الخارجية من تعويض هذا النقص^(٢) . وحول نزع السلاح قدمت الولايات المتحدة مشروعاً يسمح للطائرات الأمريكية والسوفيتية بالتحليق فوق سماءات الأخرى للتصوير الفوتوغرافى وهو الاقتراح الذى لم تقدم موسكو إجابة مباشرة عليه . أما عن نزع السلاح فقد وافق الجانبان على أن ترفع مقترحاتهما إلى لجنة السلاح التابعة للأمم المتحدة . وقد اختلفت التقديرات حول مؤتمر جنيف فيما

Ambrose, "Rise to globalism", op. cit., p. 147.

(١)

Ibid, p. 149

(٢)

اعتبره السفير الأمريكي بوهلين أنه واحد من أكثر المؤتمرات فشلاً في كل مؤتمرات القمة^(١) ، فإن بعض المؤرخين ينظرون إليه بشكل إيجابى ، على الأقل من ناحية الشكل والأسلوب الذى تعامل به رؤساء الدول ، وبشكل اختلف عن لغة العنف وتراشق الاتهامات التى تبادلها الروس والأمريكان منذ عام ١٩٤٧ . كما استخلصوا معنى آخر من قمة جنيف ، وهو أنه مع حلول صيف عام ١٩٥٥ فإن كلاً من روسيا وأمريكا بدتا وقد توصلتا إلى تفاهم ضمنى بأن يظل نزاعهما ضمن حدود معينة لكى يحول دون أى مخاطرة خطرة بحرب ذرية^(٢) . كما اعتبر أن المؤتمر قد وضع إطاراً عرف بروح جنيف ، وخلق مناخاً معقولاً يمكن أن تتطور فى نطاقه الصلات الحكومية والدبلوماسية^(٣) .

وقد عبر الجانب السوفيتى الرسمى عن رؤية فى مؤتمر جنيف ونتائج حين خطب بولجانين أمام مجلس السوفيت الأعلى فى ٤ أغسطس سنة ١٩٥٥ فرفض اقتراح أيزنهاور حول السماوات المفتوحة غير أنه وصف اجتماع جنيف بأنه ناجح لأنه وضع وساهم فى تخفيف التوتر الدولى ، كما اعتبر أن الصلات الشخصية كانت ثمرة ودلت على تحسن فى العلاقات بين القوى الكبرى^(٤) .

كما كان من الخطوط الأساسية فى الدوريات السوفيتية السياسية عقب انعقاد المؤتمر مباشرة الإشارة إلى أن الغرب قد تخلّى عن سياسة «مراكز القوة» لصالح تخفيف التوتر وفقاً لروح جنيف ، كما امتدحت قادة الغرب وركزت على روح

Bohlen, Charles "Witness to history" op. cit.

(١)

Hall, "The cold war as history" op. cit., p. 384.

(٢)

Ma ckintosh, "Strategy and tactics. " op. cit., p. 11/3.

(٣)

Ambrose, "Rise to globalism", op. cit, p. 155.

(٤)

الاعتدال التي أظهروها خلال المؤتمر^(١) .

كما تعرض خروشوف في مذكراته لمؤتمر جنيف واعتبر أنه كان أول تجربة دولية واسعة يدخل فيها القادة الجدد بعد ستالين ، وأنه قد أعطى في نفس الوقت قادة الغرب فرصة لكي يتأملوا هؤلاء القادة^(٢) . ويصف الدوافع العامة السوفيتية من هذا المؤتمر بقوله : لقد كان شعورنا في القيادة السوفيتية أنه بعد هذه الحرب الدامية فإننا والغرب يمكن أن نتفق على أسس موضوعية ، وهي التعايش السلمي^(٣) .

ويقوم خروشوف المؤتمر بقوله : لقد شعرت في مؤتمر جنيف أن القضية الأساسية هي المحافظة على السلام ، ولكن القوى الغربية كانت مترددة في أن تتخذ الإجراءات الضرورية لوضع أسس السلام ؛ ولهذا السبب كان المؤتمر مقضياً عليه بالفشل حتى قبل أن يبدأ ، إلا أنه كان مفيداً في عدد من الوجوه الهامة ، فقد قدم فرصة لقادة القوى الكبرى لأن يروا بعضهم البعض بشكل مباشر وغير رسمي خلال المناقشات الجانبية^(٤) .

ويبرز خروشوف عنصر توازن القوى الذي عكسه مؤتمر جنيف والدرس الذي استخلصه السوفيت بقوله : لقد عدنا من جنيف ونحن نعلم أننا لم نحقق نتائج محدّدة ، ولكننا تحققنا من أن أعداءنا أصبحوا يخافوننا بمثل ما نخافهم ، وأنهم يثقوا بعد هذا المؤتمر أننا نستطيع أن نقاوم ضغطهم^(٥) .

Hilsman, "Foreign policy in the sixties, "op. cit, p. 178.

(١)

Khrush cher Remembes: Translated by: Trobe Tablott, Little Brown,

(٢)

1970, p. 393

Ibid, p. 393.

(٣)

Ibid, p. 393.

(٤)

Ibid, p. 400.

(٥)

أما أبرزهاور فقد وصف المؤتمر بالنجاح المحدود واعتبر أنه : « رغم ما حدث بعد هذا ، فإن المناخ الودى للمحادثات أنتج روح جنيف التى لم تزل نهائياً واعتبر أنه من هذا المؤتمر خرج تبادل الزيارات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى مجال العلماء والفنانين وزيارات ميكويان وكوزلوتن وزيارة نيكسون نائب رئيس الجمهورية^(٢) .

وهكذا لم يكن مؤتمر جنيف نتيجة لأية تسويات سياسية مسبقة ، كما لم تنشأ عنه مثل هذه التسويات . كما لم يكن بادياً أن أيّاً من الجانبين مستعدٌ لتقديم تنازلات أو التراجع عن مواقف سابقة ، أو أنها كانا بشكل جدى يعترمان الوصول إلى اتفاق ، وقد عكس هذا بحق فوستر دالاس حيث قال قبل المؤتمر : « سيكون البداية وليس النهاية ، وأنه يجب أن لا نتوقع أن القرارات الكبرى ذات المضمون سوف تتحقق فيه » . وبذلك لم يكن يعنى اجتماع قادة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى أول مؤتمر منذ مؤتمرات القمة التى جمعهم خلال الحرب نهاية الحرب الباردة ، وإنما إدراك الحاجة إلى إدارتها على أساس جديد خاصة بعد أن تطورت حالة التوازن النووى بينهما .

أزمات الشرق الأوسط والمجر

أثر تدخل الاتحاد السوفيتى العسكرى فى أحداث المجر عام ١٩٥٦ ثم دوره فى الشرق الأوسط خلال وعقب أحداث السويس ، أثر فى المناخ الذى أشاعته « روح

Ambrose, "Rise to globalissn", p. 157.

جنيف» بل ربما أزاله . كما قد توازى مع ذلك تغير في ميزان القوى العسكرى والاستراتيجى بإطلاق الاتحاد السوفيتى لأول مركبة فضاء فى ٤ أكتوبر ١٩٥٧ . وفى ظل هذه الظروف دعا خروشوف فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٧ أمام مجلس السوفيت الأعلى إلى اجتماع على مستوى عال للوصول إلى اتفاق حول سباق التسلح والتعايش السلمى . وفى ١٢ يناير سنة ١٩٥٨ ذكر أيزنهاور فى خطاب إلى بولجانين أن الصلات الشخصية لا تنتج تلقائياً نتائج طيبة ، وأعلن أنه مستعد للتوجه إلى مؤتمر قمة آخر ، ولكن من الضرورى أن يعد له بشكل يحدد مقدماً ما إذا كان هناك أمل فى الاجتماع يساعد قضية السلام^(١) . . .

وقد أصر أيزنهاور على موقفه رغم إصرار السوفيت على اجتماع قمة ووساطة رئيس الوزراء البريطانى هارولد ماكميلان وتحييده لعقد مؤتمر على مستوى القمة ، وأمام هذا الإصرار وافق السوفيت على عقد مؤتمر تمهيدى على مستوى وزراء الخارجية ، كما سحب خروشوف إنذاره حول برلين ، واجتمع مؤتمر وزراء الخارجية فى ١١ مايو سنة ١٩٥٩ و ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٩ فى جنيف ولم يصدر عنه أى اتفاق ذو أهمية .

ولعدم الرضى بما تحقق فى هذا المؤتمر ، قرر أيزنهاور دعوة خروشوف إلى الولايات المتحدة حين علم أن الزعيم السوفيتى عبر عن رغبته فى هذه الزيارة ، وحين تحققت هذه الزيارة فى سبتمبر سنة ١٩٥٩ قال خروشوف : إن الوقت ناضج لمؤتمر قمة وفى كامب دافيد وافق أيزنهاور على عقد مؤتمر قمة قبل نهاية العام ، وقبل إيزنهاور الدعوة إلى زيارة موسكو . غير أن المؤتمر الذى اتفق عليه وكان مقدراً له أن

(١) Eulank, "The Summit Conferences, 1919-1960", op. cit., p.162.

ينعقد في باريس في ١٦ مايو سنة ١٩٦٠ قد فشل حتى قبل أن تبدأ جلساته :
وذلك بسبب حادث طائرة التجسس U2 التي أسقطها السوفيت قبل انعقاد
المؤتمر بأسابيع . .

أزمة المجر :

كان ما أعلنه خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي - فبراير
سنة ١٩٥٦ - من إدانة للستالينية وأساليبها ، وما أوحى به من أن القيود الستالينية
والشكل الذي أخذته علاقات الاتحاد السوفيتي مع الدول الحليفة له في شرق أوروبا
سوف تخفّ ثم إقدامه على حلّ الكومنفورم ، كان لذلك وقع واضح في بلدان أوروبا
الشرقية وخاصة في بولندا والمجر . ففي بولندا اشتعلت المظاهرات والإضرابات بشكل
أجبر خروشوف على أن يجيء في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ بشيوعي مستقل مثل
جومولكا إلى الحكم .

وقد تسرّبت هذه الموجة إلى المجر ، ففي ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ خرج الطلاب
المجريون إلى الشوارع يطالبون بأن يحلّ إمري ناجي محلّ الحكام الستالينيين ، وانضم
العمال إلى الطلبة وانتشرت الاضطرابات ووافق خروشوف على تولّي إمري ناجي ،
ولم يكن هذا كافياً فقد طالب المجريون بخروج الجيش الأحمر من المجر وإقامة حزب
معادٍ للشيوعية . وفي ٢٨ أكتوبر بدأ الروس يسحبون دباباتهم من بودابست ، غير
أن هذا التحول تداخل مع أحداث الشرق الأوسط وهجوم إسرائيل وإنجلترا وفرنسا
على مصر . وفي ٣١ أكتوبر وهو اليوم الذي تلا ضرب مصر ، أعلن إمري ناجي
انسحاب المجر من حلف وارسو . أمّا الروس فقد أدركوا أن أحداث مصر والحملة
الانتخابية الأمريكية سوف تشلّ الولايات المتحدة ، فضلا عن عدم استعدادهم

لأن يروا حلف وارسو يتفكك ، وكذلك قرروا التحرك . وسحقت الدبابات الروسية الثوار المجريين بعد حرب في الشوارع راح ضحيتها ٧٠٠٠ روسي ، ٣٠٠٠٠ مجري . ورغم الهزة العاطفية التي أحدثتها هذه التجربة في الولايات المتحدة ، فإن أيزنهاور لم يفكر حتى في تقديم مساعدة عسكرية للمجريين ، بل إنه لم يكن ليفعل ذلك حتى لو لم توجد أزمة الشرق الأوسط ، فلم يكم - تحت أي ظروف - ليخاطر بحرب عالمية ثالثة من أجل شرق أوروبا^(١) .

ومن المفارقات ، أنه قبل أسابيع قليلة من اشتعال أزمة المجر كان وزير الخارجية الأمريكي فوستر دالاس يصرح : « إننا لن نحصل على سلام آمن أو عالم سعيد طالما أن الشيوعية الروسية تسيطر على شعوب أوربية بأكملها ، وهي في طريقها إلى محاولة أن تمدّ حكمها إلى أقطار أخرى كثيرة . ولهذا فإنه يجب أن يظل دائماً في أذهاننا تحرير هذه الشعوب الأسيرة . ولكن التحرير لا يعنى الحرب . . . ولهذا فإن السياسة التي استهدفت احتواء روسيا ضمن ما هي فيه الآن هي سياسة غير سليمة ، فإذا ما ظلت سياستنا هي أن نظل حيث نحن الآن فسوف ندفع إلى الخلف» .

وهكذا أثبتت تجربة المجر أن سياسة وشعارات الجمهوريين التي أتوا بها إلى الحكم كانت خاوية ، وأنها لم تقصد إلا للإرضاء العاطفي ، وأن أزمة المجر قد كشفت عن ذلك . كما أوضحت أن أيزنهاور برغم أنه بقي مرتبطاً بصيغ الحرب الباردة فإنه كان رجلاً معتدلاً وحريصاً ذا نظرة واضحة ، وأنه بسبب روح المحافظة عنده فإن أيدي دالاس كانت مغلولة . وأصبحت تصريحاته العلنية المتشددة لا تهم أحداً وإن كانت تفيد في الإشباع العاطفي . ومن ناحية أخرى أوضحت هذه

التجربة للمجريين ولشعوب شرق أوروبا كافة أن لا يعلّقوا آمالهم على الولايات المتحدة والغرب ، وأن عليهم أن ينظموا أمورهم مع السوفيت .

أزمة السويس وأحداث الشرق الأوسط :

توازت أزمة المجر مع أحداث السويس وهجوم دولتين من كبرى حليقات الولايات المتحدة هما بريطانيا وفرنسا - على مصر ، وهنا وجدت الولايات المتحدة نفسها في موقف متناقض مع حلفائها ، ومتعاون بمعنى ما مع الاتحاد السوفيتي الذي كان يعارض العدوان الإنجليزي الفرنسي الإسرائيلي على مصر . وعبر دالاس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٣١ أكتوبر عن موقف الولايات المتحدة بقوله : « إن الهجوم من ثلاثة أعضاء في الأمم المتحدة على قطر رابع لا يمكن أن ينظر إليه إلا على أساس أنه خرق لجسم لا يتفق مع مبادئ وأهداف الميثاق » .

كما دعت الولايات المتحدة لاجتماع عاجل لمجلس الأمن . وقدمت مشروع قرار قويّ دعا إسرائيل إلى سحب قواتها في الحال خلف خطوط الهدنة ، كما دعا جميع أعضاء الأمم المتحدة إلى الامتناع عن تقديم أي مساعدة طالما أنها « لم تنصع للقرار » ، ونظراً لاستخدام بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ضد مشروع القرار الأمريكي ، فقد اتخذت الولايات المتحدة وأعضاء آخرون قراراً ينصّ على عقد دورة طارئة عاجلة للجمعية العامة للأمم المتحدة لمعالجة الموقف الخطير^(١) .

غير أن هذا الاتفاق العارض لم يخف أن مخاوف الولايات المتحدة الخارجية من نفوذ الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط كان وراء قلقها من أزمة السويس . وكان

(١) Andrews, William (ed). "The Politics of International Crises", van Nostrand and Comp. New York, 1970, p. 74.

هذا الاعتبار هو الذى دفع دالاس بعد أحداث السويس إلى مدّ نظرية ترومان لكى تشمل على وجه التخصيص كلّ الشرق الأوسط . ففى بيان ألقاه أمام الكونجرس فى نهاية عام ١٩٥٦ قال : إن القادة الروس مازالوا يتطلّعون إلى النجاح ، وإنه من مسئولية أمريكا الكبرى وقف انتشار الإمبريالية الروسية فى الشرق الأوسط ، حيث توجد الأماكن المقدسة والموارد الحيوية ووسائل المواصلات^(١) .

وفى ٥ يناير سنة ١٩٥٧ ألقى أيزنهاور خطاباً أمام الكونجرس قال فيه : « إن الشرق الأوسط قد وصل بشكل حاسم إلى مرحلة جديدة وحاسمة فى تاريخه المهم الطويل . . إن المنطقة كانت دائماً موضع قلق وعدم استقرار متزايد استغلته فى أوقات كثيرة الشيوعية الدولية . إن سبب اهتمام روسيا بالشرق الأوسط هو سبب واحد فقط . وهو سياسة القوى العظمى ، وباعتبار الهدف المعلن عن نشر الشيوعية فى العالم فإن من السهل فهم أمانها فى السيطرة على الشرق الأوسط ، إن المنطقة تحتوى تقريباً على ثلثى الاحتياطي الراهن المعروف من مخزون البترول فى العالم ، كما أنها تمدّ بشكل طبيعيّ الحاجات البترولية للأمم أخرى فى أوروبا وأفريقيا ، وهذه الأمور تؤكد الأهمية القصوى للشرق الأوسط . فإذا ما فقدت شعوب هذه المنطقة استقلالها ، وإذا ما سيطرت عليها قوى غريبة معادية للحرية فإن هذا سيكون مأساة للمنطقة ولعدد من الأقطار الأخرى التى ستخضع حياتها الاقتصادية لما يقارب الاختناق . إن غرب أوروبا سوف يتهدّد كما لو لم يكن هناك مشروع مارشال ومنظمة حلف شمال الأطلسي^(٢) .

(١) Fleming, "The cold war and its origins" op. cit. p. 884

(٢) Brown, Seymon "The Forces of Power", Culombia university Press New York, 1968, p. 126.

وقد أوضح أيزنهاور بدقة العوامل والعناصر التي تفسر دخول المنطقة ضمن مناطق المنافسة والصراع بين القوتين . كما كان هذا الخطاب إيذاناً بظهور مبدأ أيزنهاور الذي تضمن :

١ - مساعدة أى أمة أو مجموعة من الأمم في المنطقة في تطوير قوتها الاقتصادية والمحافظة على استقلالها القومى .

٢ - إعداد برامج من المساعدة الاقتصادية حين يكون ذلك لازماً .

٣ - استخدام القوات الأمريكية المسلحة حين يطلب منها ذلك ضد العدوان المسلح المكشوف من أى بلد تسيطر عليه الشيوعية الدولية .

وقد وضعت هذه النظرية موضع الاختبار في أبريل سنة ١٩٥٧ في الأردن ، ذلك أنه بعد تطورات داخلية معادية لنظام الملك حسين دعا الملك إلى تطبيق مبدأ أيزنهاور ، واعتبر أن الأزمة قد أثارها الشيوعية الدولية وأتباعها . وقد قبلت هذه الدعوة بالاستجابة السريعة من واشنطن ، وفي يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٥٧ كان الأسطول السادس يتحرك من فرنسا إلى شرق البحر المتوسط . وقد ثار الجدل حول مدى انطباق مبدأ أيزنهاور على الوضع في الأردن ، وهو ما جعل دالاس يؤكد عدة مرات أن الولايات المتحدة لا تنوى أن تتدخل عسكرياً في حالات الثورة الداخلية أو تخريب داخلي ، وأن مبدأ أيزنهاور لا ينطبق إلا على حالات العدوان العلني والواضح .

كذلك أثير مبدأ أيزنهاور خلال الأزمة السورية في أغسطس عام ١٩٥٧ حين قام نظام موالٍ للسوفيت وعقدت معاهدة سورية سوفيتية يقدم بمقتضاها مساعدة اقتصادية لسوريا قيمتها ٥٠٠ مليون دولار . وقد اعتبر هذا الوضع تهديداً لأنابيب البترول التي تمر بالأراضي السورية ووضعها تحت ضغوط السوفيت كما اعتبر أن في

هذا ترك لتركيا في أيدي القوة السوفيتية من كل حدودها الشمالية والجنوبية . . ولما كان واضحاً أن مبدأ أيزنهاور لا ينطبق على هذا الوضع ، فقد بدأت أنباء ترد من واشنطن حول تحرك أمريكي دبلوماسي وعسكري موجه ضد النظام الجديد في سوريا ، كما عبّأت تركيا قوات كبيرة وقامت بمناورات على الحدود السورية في محاولة للتأثير على مجرى الأحداث في سوريا . وهنا ظهرت موسكو على المسرح محاولة لحماية النظام الجديد في سوريا . وفي ١٩ سبتمبر قال دالاس أمام الجمعية العامة : إن تركيا تتعرض الآن لخطر عسكري من البناء العسكري السوفيتي المتزايد في سوريا .

وفي اليوم التالي أجاب جروميكو أن الاتحاد السوفيتي لن يقف موقفاً سلبياً في الوقت الذي تتحول فيه منطقة ملاصقة لحدوده إلى بؤرة دائمة للمنازعات المسلحة^(١) .

وفي ٢٤ سبتمبر رفضت الولايات المتحدة مذكرة من الاتحاد السوفيتي اقترح فيها إعلاناً يصدر عن القوى الأربع يدين استعمال القوة في الشرق الأوسط . أما الاقتراحان السابقان فهما يدعوان إلى إجراء حظر على شحنات السلاح إلى المنطقة ، وقد فسرت هذه الاقتراحات على أنها محاولة سوفيتية لإجراء مفاوضات تعترف بالمصالح السوفيتية في المنطقة . إلا أن واشنطن كانت مصممة على أن موسكو ليس لها أي مصالح مشروعة في الشرق الأوسط ، وأنها يجب أن تستبعد منه . أما الاتحاد السوفيتي فقد أكد على لسان خروشوف في حديث له مع جيمس

Fleming, "The Cold war and its origins" op. cit., p. 889

(١)

يطلق فلينج بأن خلاصة السياسة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفيتي حتى الأزمة السورية كانت وكأنها تقسم على هزيمة أي هجوم عسكري سوفيتي في الشرق الأوسط ، إلا أن التهديد السوفيتي لم يكن عسكرياً وإنما كان =

روستون مراسل النيويورك تايمز في سبتمبر سنة ١٩٥٧ « إن الاتحاد السوفيتي ليس معنياً فحسب بالشرق الأوسط ، بل إنه مستعد لاستخدام القوة المسلحة إذا لزم الأمر للدفاع عن مصالحه في المنطقة . ثم اتهم دالاس ببحث تركيا على مهاجمة سوريا ، وحذر تركيا أنها لن تدوم يوماً واحداً . « فإذا نشبت الحرب ، وحين تبدأ المدافع ، فإن الصواريخ سوف تبدأ في الطيران وسيكون متأخراً التفكير فيها » ، وقد أدى هذا إلى صدور تحذير من الخارجية الأمريكية بأن تركيا هي حليف للناتو وأن الولايات المتحدة مصممة على تطبيق مبدأ أيزنهاور . . . وقد تأكد هذا التحذير بواسطة دالاس في ٢٦ أكتوبر حيث أعلن أن هجوماً سوفيتياً على تركيا سوف يأتي بانتقام أمريكي ضد الأراضي السوفيتية^(١) . . .

أما الموضع الثالث الذي استخدم فيه مبدأ أيزنهاور فهو الأزمة اللبنانية ، ففي ١٥ يوليو ١٩٥٨ ظهر أسطول كبير من البواخر والطائرات على شاطئ لبنان ؛ وأنزلت عبره آلاف من جنود البحرية الأمريكية تتالي إنزال غيرهم في الأيام التالية . وقد تمّ هذا بسبب انهيار مفاجئ لحكومة العراق التي كانت حجر الزاوية لحلف بغداد ، ولأن كميل شمعون صديق أمريكا كان في أزمة عميقة واضطرابات داخلية

= اقتصادياً وسياسياً ، وفوق هذا فإن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط كانت تقوم على أن روسيا هي القوة الكبرى المتاخمة لحدود الشرق الأوسط يمكن استبعادها كما استبعدت روسيا القيصرية أيام عظمة بريطانيا . وأنه كما قال والتربان : إذا كان ثمة بداية جديدة فإن على دالاس أن يتغلب على الوهم المسيطر عليه وهو أن البلدان العربية يجب أن تتعالف في جبهة عسكرية ضد السوفيت ، وأن دالاس ليس أمامه من فرصة للنجاح في الشرق الأوسط إذا ما رفض قبول حقيقة أن الاتحاد السوفيتي هو قوة رئيسية لا يمكن أن تطرد أو تستبعد . . . » ..

(Flemming, p. 829).

Ibid, 890.

راجع :

(١)

نتيجةً لتزوير شمعون الانتخابات لضمان برلمان يوافق على قبول مبدأ أيزنهاور . وقد جاء الإنزال الأمريكي في لبنان مصدر رضا للعديد في واشنطن ، واعتبر تحدياً للاتحاد السوفيتي ، وكدليل على أن الولايات المتحدة تستطيع اتخاذ موقف عملي قوي برغم تفوق روسيا في الصواريخ طويلة المدى . .

غير أن التدخل الأمريكي في لبنان ورد الفعل العملي الذي أبداه الاتحاد السوفيتي قد أظهر الحدود التي تلتزم بها القوتان حين تدركان أن الأمر يمكن أن يتطور إلى مجابهة بينهما . ففي الولايات المتحدة أرادت هيئة الأركان الأمريكية أن تستولي القوات الأمريكية على لبنان بأسرها ، ولكن أيزنهاور أمر رجالها بأن تنحصر مهام القوات الأمريكية فقط في الاستيلاء على المطارات والعاصمة . . كما أنه برغم أن كثيراً من رجال الإدارة الأمريكية طالبوا بالاستفادة من طلب التدخل من أجل مدّ النفوذ الأمريكي ، فإن أيزنهاور قد رفض هذا صراحةً قاصداً كالعادة أن يحدّ من المخاطر ومن الالتزام الأمريكي .

أما الاتحاد السوفيتي فلم يكن على استعداد لاتخاذ عمل جذري ، وكان خروشوف يعلم أن أيزنهاور قد تصرف لحشيته على الموارد الغربية من البترول . وكان يعلم مدى حيوية هذه الإمدادات البترولية للغرب ، وأنه مادام أيزنهاور كان مستعداً للحدّ من نطاق التدخل فإن خروشوف لن يتدخل^(١) .

ويعكّس ردّ خروشوف على طلب الرئيس عبد الناصر خلال الأزمة الموقف السوفيتي ، فحين طلب عبد الناصر ضمانات سوفيتية مشيراً إلى أن الأمريكيين

يمكن أن يستخدموا الأتراك للهجوم على سوريا وهو ما سيجعله . أى عبد الناصر . مضطراً إلى قتالهم . أجاب خروشوف « إنه يعتقد أن الأمريكيين قد خرجوا عن صوابهم ، ولكننا بصراحة لسنا مستعدين للمواجهة ، وللسنا مستعدين لحرب عالمية ثالثة » كما طالب خروشوف عبد الناصر أن ينحني للعاصفة ، وليس ثمة سبيل آخر ؛ لأن دالاس قد يفجر العالم ويدكّه دكاً .

وبعد إلحاح من عبد الناصر ومشاورات مع أعضاء المكتب السياسى (كان عبد الناصر يريد أن يصدر الاتحاد السوفيتى بياناً على غرار بيان السويس) قال خروشوف : إن أقصى ما يمكن للاتحاد السوفيتى أن يفعله ، هو أن يعلن عن إجراء مناورات على الحدود البلغارية التركية . ثم أضاف : « لكن أقول بصراحة : لا تعتمد على أى شىء أكثر من هذا » . . وبعد أن أصدر المارشال بالينوفسكى أمراً يومياً خاصاً بشأن هذه المناورات التى جرى تعميم أنبائها فى العالم ، كان آخر ما قاله خروشوف لعبد الناصر فى المطار : « إنها مجرد مناورة ، أرجوك ياسيادة الرئيس أن تتذكر أن لا شىء يتعدى المناورة » ^(١) .

أزمة برلين - نوفمبر سنة ١٩٥٨ :

تلا أحداث لبنان اختبار آخر حول برلين . فلم يكن خروشوف يسمح بالاستمرار للموقف فى برلين بدون تحدٍّ ، وقد لمس أن رغبة أيزنهاور فى إقامة تسوية مؤقتة *Modus Vivendi* قائمة على الرغبة فى المحافظة على الوضع الراهن ، الأمر الذى لا يقبله خروشوف فى كل مكان ، وخاصة فى برلين . حيث تقف برلين الغربية

(١) هيكل . محمد حسين . عبد الناصر والعالم . دار النهار بيروت ١٩٧٢ ص ١٩١ ١٩٨

كشوة في حلقه ، ففي كل عام كان يهرب من برلين الشرقية حوالى ٣٠٠٠٠٠ من أكثر العناصر تعليماً وموهبةً .

ومنذ عام ١٩٤٩ فقدت برلين الشرقية حوالى ٣ مليون من سكانها من خلال غرب برلين . كما ضُمَّت برلين الغربية أكبر مركز لوكالات التجسس ومركز إذاعات موجهة إلى شرق أوروبا . وقد ضاعف من هذا معجزة برلين الغربية الاقتصادية ، والتي وضعت فيها الولايات المتحدة ٦٠٠ بليون دولار ومثلها من حكومة بون . بحيث أصبحت المدينة أعظم مدينة إنتاجية في ألمانيا ، وتجاوز مجموع إنتاجها القومى نصف أعضاء الأمم المتحدة . وبدأت الحياة الاجتماعية والثقافية المتألقة لبرلين الغربية في تناقض حاد مع الحياة القاحلة في برلين الشرقية . ومما جعل الموقف غير محتمل بالنسبة لخروشوف ، التدفق المستمر للدعاية الأمريكية حول برلين . واستغلت أمريكا موضوع اللاجئين والتناقض الاقتصادى بين المدينتين في العالم كله ، كدليل نهائى على تفوق الرأسمالية على الاشتراكية . غير أن هذا الموقف قائم منذ حقبة من الزمن . فما الذى جعل خروشوف يقرر أن يتحرك في برلين الغربية في نهاية عام ١٩٥٨ وفي فترة الهدوء النسبى في الحرب الباردة ؟ ربما قدر خروشوف أنه طالما أن أيزنهاور سيفعل كل شىء ممكن لتفادى صدام نووى . فإن عملا دبلوماسياً حول برلين يصبح ممكناً الآن ، وأكثر من هذا كان خروشوف يخشى من نمو تسليح ألمانيا الغربية . حيث زودها الأمريكيون بمدفعية قادرة على إطلاق قاذفات نووية ، وطائرات يمكنها أن تحمل قنابل نووية إلى ألمانيا الشرقية . وكان أديناور يزد من مدى التسليح . ثم إن ألمانيا الغربية كانت على وشك الاشتراك مع فرنسا وإيطاليا ودول البنيولكس بشكل أكثر من ذي قبل .

كل هذا جعل خروشوف يقع تحت ضغط في نطاق الكرملين لعمل شىء

ما حول الوضع الألماني . ولذلك وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ أعلن خروشوف أن الاتحاد السوفيتي مستعد لأن يحول الإشراف على برلين الغربية إلى ألمانيا الشرقية . ومن ثم فإن على الغرب أن يتفاوض حول حقوق المرور إلى برلين الغربية مع ألمانيا الشرقية (التي لم تكن أي من حكومات الغرب يعترف بها) وكان الغرب موجوداً في برلين على أساس اتفاقات ما قبل الاستسلام . فإذا ما وقع خروشوف معاهدة سلام مع ألمانيا الشرقية فإن الاحتلال يجب أن ينتهي وحذر خروشوف من أن أي هجوم ضد ألمانيا الشرقية سيعتبر هجوماً على الاتحاد السوفيتي . وأعطى مهلة ستة شهور قال إن لم يتم الاتفاق عندها فإن على الغرب أن يتعامل مع ألمانيا الشرقية ^(١) .

وفي نفس اليوم الذي صدر فيه إعلان خروشوف ، أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تعليقا مقتضيا قالت فيه : « إن الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا ملتزمون بشكل حازم بالقطاعات الغربية من برلين ، التي أظهر سكانها وسكان ألمانيا الغربية اعتماداً على الثمار الطيبة للحرية ، والاعتبار الآخر أن الولايات المتحدة لن تتنازل ، بعمل منفرد من جانب الاتحاد السوفيتي ، عن التزاماتها ومسئولياتها التي تم الاتفاق عليها رسمياً مع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فيما يتعلق ببرلين ، كما أنها لن تدخل في أي اتفاق مع الاتحاد السوفيتي يكون من نتيجته التخلي عن شعب برلين الغربية إلى سيطرة معادية » ^(٢) .

غير أن هذا الوضع أثار نقاشاً حاداً في الولايات المتحدة حول أسلوب

Ambrose, "Rise to globalism" op. cit., pp. 258-259.

(١)

Lazing, "Detente, cold and strategies", op. cit, p. 125.

(٢)

مواجهته . وتراوحت الآراء المشتركة فيه ما بين الدعوة إلى جعل برلين مدينة حرة يمكن أن يقوم فيها اتحاد كونفيدرالي « الألمانيّتين » بعد أن تنسحب كلّ القوات الأجنبية . وهو الاتجاه الذي تبناه جورج كينان . وبين الموقف الذي مثله دين أتشيسون وعارض فيه إحداه أيّ تغيير في السياسة التي تقوم منذ عشر سنوات . وقد اختار أيزنهاور طريقاً وسطاً بين هذين الاتجاهين . حيث رفض فكرة المدينة الحرة كما رفض الاتجاه إلى عدم إجراء أيّ تغيير على الإطلاق . ورفض في نفس الوقت الدعوة إلى زيادة الخدمة المسلحة بشكل كبير كمقدمة لاتخاذ خطّ متشدّد حول برلين .

وفي مارس سنة ١٩٥٩ وعند اقتراب انتهاء المهلة التي حدّدها خروشوف . بدأ الديموقراطيون والجمهوريون في أمريكا بحثون على التعبئة فأبلغ أيزنهاور الكونجرس أنه لا يريد اعتمادات إضافية لحرب بالصواريخ أو حرب تقليدية للتعامل مع الأزمة . وفي مؤتمر صحفي عقده في ١١ مارس هاجم فكرة المزيد من القوات الأرضية في أوروبا قائلاً : إنها لن تكون ذات تأثير على ميزان القوى هناك . وقال : إن أكبر الخطر في أزمة برلين هو أن يخيف الروس الولايات المتحدة ويدفعونها إلى سباق للتسلح قد يؤدي إلى إفلاس الاقتصاد الأمريكي^(١) .

أما خروشوف الذي لم يكن لديه أيّ رغبة في صدام نووي أكثر من أيزنهاور . فقد بدأ يتراجع وأنكر أنه وضع حدّاً زمنياً . بل ذهب إلى حدّ الموافقة على زيارة الولايات المتحدة في سبتمبر سنة ١٩٥٩ . ورتّب مع أيزنهاور مؤتمر قمة في جنيف يعقد في مايو ١٩٦٠^(٢) .

Ibid, p. 261.

Ibid, p. 262.

(١)

(٢)

أثر التحول في ميزان القوى : إطلاق السبوتنيك

بدأت أحداث المجر والتدخل السوفيتي فيها في النظر الأمريكي وكأنها تنفي كل التحركات السوفيتية السابقة نحو الوفاق . وبدأ من خلال الجو الانفعالي والعاطفي الذي خلقته أحداث المجر . أنه ليس من السهل قبول أن القادة السوفيت - الذين استعملوا القوة الغاشمة لقهر دولة تابعة لهم - مازالوا مستعدين للتصالح مع الولايات المتحدة . ومن ناحية أخرى جاءت أحداث المجر - ومن قبلها اضطرابات برلين الشرقية - لكي تثبت ضحالة ادعاءات دالاس والولايات المتحدة عن تحرير بلدان شرق أوروبا وبدأ بوضوح أنه أياً كان مقت الولايات المتحدة للشيوعية فإن مقها للحرب كان أكبر .

غير أنه إذا كانت هذه الأحداث قد أثبتت أن الحرب أمر لا يمكن التفكير فيه . كذلك كانت المفاوضات . فقد زادت هذه الأحداث من تردد أيزنهاور في التعامل مع السوفيت ، وقواه عمق العداء المستحكم الذي يحمله دالاس لهم . والاستشارات التي جرت بين الرأي العام الأمريكي بسبب حوادث المجر وخاصة بين الأقسام ذات الأصول الأوروبية الشرقية .

غير أن التغيرات التكنولوجية وخاصة في مجال الأسلحة - كما كان الحال في الماضي - إنما تجبر الساسة والشعوب على أن تفكر ثانية .

ففي ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٧ أعلن الاتحاد السوفيتي عن نجاح تجربة صاروخ عابر للقارت Inter-Continental Ballistic Missile وفقاً للبيان السوفيتي الذي أعلن

النبأ ، إن النتائج التي حصل عليها تظهر أنه يمكن توجيه صواريخ إلى أى مكان في العالم ،^(١) .

كما وقع تطوّر آخر يؤكد قدرات السوفيت في مجال الصواريخ ، حيث أطلقوا في ٤ أكتوبر سنة ١٩٥٧ أول قمر صناعي Sputnik فماذا كانت دلالة هذا الحدث ؟* إن المعنى الرئيسى له هو الحقيقة الصعبة التي لم يكن من الممكن إنكارها ، وهي أن الاتحاد السوفيتي إنما يمثل نظاماً اجتماعياً قادراً على التنافس وقابلاً للنمو والحياة ويمتلك قاعدة تكنولوجية متقدمة . وكانت هذه الحقيقة جديدة بأن تضعف وتهز من الثقة الأمريكية وتفوقها التكنولوجى الذى كان يعتمد عليه الشعب الأمريكى في إحساسه بالأمان ، كما هز الثقة في إدارة أيزنهاور وجعلها تبدو وكأنها ترتجل في استجاباتها لمثل هذه التطورات ، وليس باتخاذ مبادرات كبيرة لمواجهة أزمة خطيرة ذات مدى طويل . . . وبدأت الخطوات الأولى من إعادة البحث في الذات ، وتقدير الافتراضات التي كانت تحكم وتوجه حتى الآن السياسة الخارجية الأمريكية^(٢) .

غير أن إعادة التقييم هذه مستجىء فيما بعد ، أما الصدى المباشر فقد كان هو زيادة التشدد . وبدأ هذا في رفض الولايات المتحدة للعرض الذي تقدمت به

(١) Fleming. "The Cold war and its origins" op. cit, p. 863

• قال تعليق سوفيتي على إطلاق السبوتنيك الأول : إنه ليس مجرد زيادة في قوى ومكانة وقيل الاتحاد السوفيتي ، إنه مسألة تغير في ميزان القوى بين الاشتراكية والرأسمالية . يعنى تقوية وتدعيم القوى الأولى وإضعاف الأخرى . إن العالم قد دخل مرحلة جديدة من التعايش السلمى ..

راجع : Intenational Affairs, Moscow, 1958, p. 86

(٢) Hammand, Poul, "The Cold war years, : American Foreign Policy

since 1945, Harcourt, New York-1969, p. 99.

موسكو في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٧ للنظر في حظر إقامة أسلحة نووية في تشيكوسلوفاكيا وبولندا وألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية . وباعتبار أن هذه هي المرة الأولى التي يبدى فيها السوفيت استعداداً لتقديم تنازلات في بولندا وتشيكوسلوفاكيا . فإن وزير الدفاع البريطاني اعتبر أن الاقتراح إنما يسجل نقطة تحول في الدبلوماسية السوفيتية . أما ردّ الفعل الأمريكي فكان التجاهل من جانب دالاس وتقديمه صواريخ نووية لحلفاء أمريكا والأوربيين^(١) .

ثم عاد دالاس ورفض اقتراحاً سوفيتياً آخر في ٩ يناير ١٩٥٨ لعقد مؤتمر إقامة منطقة نووية حرة في وسط أوروبا وإجراء مفاوضات بين الألمانيتين . وحين رفض هذا الاقتراح أيضاً كرّر السوفيت في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٨ طلبهم لعقد مؤتمر قة .

ويبدو أن هذا قد أحدث نوعاً من ردّ الفعل العكسي في الأوساط الأمريكية ضدّ سياسة دالاس ، فقد كتب أحد المعلقين الجمهوريين يقول : « إن أماننا اختياراً ، إما أن نتفاوض مع الروس أو نتحارب معهم . . . إنني ضدّ سياسات دالاس لأنها قد أثبتت أنها عقيمة وغير منتجة . . . وحين فكّر دالاس أن في يدنا جميع الأوراق . فقد كان يندع ويتبجح . إلا أن أحداً - بما فيهم حلفاؤنا والروس - لم يندع .. إن مستر دالاس قد أصبح عائقاً للسلام »^(٢) .

وقد واصل الروس تقديم عروضهم . وكأن ما حققوه في مجال الصواريخ عابرة القارات قد منحهم الثقة والقدرة على المبادرة . ففي ١ مارس سنة ١٩٥٨ دعوا إلى

Ibid, p. 102

(١)

Ibid, p. 103

(٢)

مؤتمر لوزراء الخارجية للإعداد لمؤتمرة ، وفي ٦ مارس عرض خروشوف الذهاب إلى الولايات المتحدة وأرسل مذكرة أخرى مقترحة إجراء مفاوضات . ولما لم يحصل على استجابة إيجابية لأى من اقتراحاته أعلن السوفيت أنهم يوقفون تجارتهم الذرية من جانب واحد^(١) .

وقد دفع هذا الساتور فولبرايت في خطاب أمام مجلس النواب في ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٨ إلى مقارنة ما أسماه « بمواصلة دالاس العنيدة والجمادة للحرب الباردة بالواقعية المرنة للسياسة السوفيتية وبال دعوة العالمية للسلام » . وقال : إن الولايات المتحدة تبدو أنها تتصرف على أساس أنها لن تقدم على التفاوض إلا إذا كنا متفوقين في سباق التسلح . ثم تساءل عما إذا كانت الولايات المتحدة قد شعرت في يوم ما بأنها متفوقة بشكل كاف ؟ ثم قال : إن البديل المخيف أمامنا يتطلب بحثاً لا يكلّ عن بدائل للدمار بغض النظر عن اقتراحها . وهاجم فولبرايت العقيدة القائلة بأن الاتحاد السوفيتي يخطط للسيطرة على العالم ، وأن الأفعال السوفيتية تدعو الولايات المتحدة إلى التصرف بشكل عنيد . وذكر الأمريكيين بأنه لا يجب أخذ جانب واحد من التصرفات السوفيتية مثل أحداث المجر ، وإنما يجب أيضاً أخذ انسحابهم من فنلندا ، وتوقيعهم معاهدة مع النمسا وانسحابهم العسكري منها ، وتقبلهم لتعديلات في الشيوعية البولندية ، والتأييد السياسي للدول غير الشيوعية في آسيا وأفريقيا . وانتهى فولبرايت إلى القول : « إنه لا يكفي رفض هذه التصرفات بمجرد القول إن هدف الاتحاد السوفيتي النهائي هو السيطرة على العالم ، وإن التصرفات السوفيتية في

Ponamaryov and others,

"History of Soviet Foreign Policy. 1945-1970, "op. cit.

الماضى قد أثبتت هذا ، وإن أى شيء يفعله الروس الآن إنما هو لنفس الهدف ،^(١) .

كذلك أصدر مجموعة من أعضاء جامعة كولومبيا بياناً في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٨ - حذروا فيه من أن «قوة وتطور الدول الشيوعية في الصين والاتحاد السوفيتي هي حقائق صعبة في العالم المعاصر ، وقبل أن تلجأ الولايات المتحدة إلى الضرورة النهائية للحرب المتبادلة التدمير ، فإن الحكومة عليها أن تستنفد إمكانيات العيش معهم بيقظة ولكن بواقعية»^(٢) .

وفي ٢٨ مايو سنة ١٩٥٩ توفي جون فوستر دالاس الذي ظل يفرض مفاهيمه التقليدية حول العلاقات الأمريكية السوفيتية وحول رؤيته للنوايا السوفيتية* منذ أن تقلد وزارة الخارجية في يناير سنة ١٩٥٣ ، وبوفاته تقلد أيزنهاور الإشراف شخصياً على السياسة الخارجية الأمريكية ، واتبه من خلال قوة شخصيته لأن يعيد توجيه السياسة الخارجية الأمريكية في الوقت الذي تبقى لإدارته . وكانت النتيجة أن أحدث تحولاً سريعاً وحاداً بشكل كسر تماماً نطاق أعوام سنة^(٣) . وقد اعتبر أن من أسباب عظمة أيزنهاور أنه قد يتعدى التفكير الذي كان يسيطر

(١) Fleming, "The cold war and its orginis", op. cit pp. 941-942.

(٢) Ibid, p. 940.

* لحصر هارولد ماكميلان شخصيه دالاس الرافضة لأى تصالح مع الروس أو لقاء معهم بقوله : لقد كان ضد كل شيء غالباً ، وكان ضد فكرة مؤتمرات القمة بشكل قوى . كما لم يكن يجذ فكرة اجتماع وزراء الخارجية ، وكان يعتقد أنه في الإمكان الإصرار على موقفنا في برلين حيث لن يستطيع الروس التدخل . لقد شعرت أن مرضه جعل عقله أكثر جموداً وتحول إلى مفاهيم محدودة جداً .

راجع : (Hall, "The Cold war as history", op. ciy, p. 258.)

(٣) Nathan, "U. S Foreign Policy and world order" op-Cit p. 258

في الولايات المتحدة من أن القوة سوف تجعل الإرادة الأمريكية تسود ، واستطاع مع أوائل عام ١٩٥٩ أن ينظر إلى ما وراء القوة ، وإلى مصير الشعوب ، وأن يصفي إلى رجائهم العلى في وقف سباق التسلح . وفي موسكو كان ثمة إدراك متساو أن صنع السلام يعتمد على الوصول إلى أيزنهاور . كما نقل هنرى براندون مراسل الصنداي تايمز في ٢٣ أغسطس ١٩٥٩ أن مستولا كبيراً وثيق الصلة بخروشوف قال له : « إتنا نعتقد أنه إذا كان هناك أى فرصة للوصول إلى اتفاق مع الولايات المتحدة فسيكون مع أيزنهاور . إتنا نعتقد أنه سجين إدارته ، وهذا هو السبب في أن خروشوف يريد أن يقابله شخصياً وليس هناك وقت كافٍ أمامنا » (١) .

وعلى أساس هذا الالتقاء المشترك ، فإن خطوة أولية بدأت تأخذ طريقها . ففي ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٩ أعلن في كلٍّ من موسكو وواشنطن أن أيزنهاور وخروشوف قد وافقا على تبادل الزيارات ، وأن كلا منهما قد قبل دعوة الآخر .

زيارة خروشوف للولايات المتحدة : قمة كامب دافيد

كان وراء زيارة أول زعم سوفيتي للولايات المتحدة ، والتي تعتبر في العرف السوفيتي قلعة الرأسمالية ، تقيماً للقوى المتصارعة في أمريكا وللرأسمالية الاحتكارية الأمريكية ، التي اعتقد السوفيت أنه يسيطر عليها قوتان مختلفتان : إحداهما تقوم على الصناعات العسكرية وتنشد الحرب والتوسع والعدوان الخارجى ، والأخرى تقوم على الصناعات غير العسكرية وتنشد السلام لأهداف التجارة والربح والتوسع

السلمى . وحين تكون القوة الأولى فى المقدمة فإن الاتحاد السوفيتى لا يملك أن يستريح وأن لا يتخذ موقفاً متشدداً ، ولكن إذا ما جاءت القوة السلمية إلى المقدمة فإنه يمكنه أن يخفض من سلاحه . وقد أقام خروشوف سياسته على افتراض أن القوى المحبة للسلام فى الولايات المتحدة سوف تتفوق على قوى الحرب . وإذا كانت الدلائل على هذا ضعيفة خلال الخمسينات ، فإن ما خيل لخروشوف وميكويان عام ١٩٥٩ أن الاتجاه السائد هو نحو السلام . كما بدا اختفاء دالاس من المسرح كتحول أساسى من السياسة العدوانية القديمة إلى سياسة جديدة تقوم على التعايش السلمى ^(١) .

ومن ناحية أخرى فإنه فى الوقت الذى كانت ستم فيه زيارة خروشوف لأمريكا . كانت مرحلة جديدة وحاسمة فى العلاقات السوفيتية الصينية تجرى . وبدا أنه منذ الآن فإن القادة السوفيت لن يعودوا يملكون التحدث باسم الصين . أما على المستوى الشخصى فقد رأى أن الزيارة ستعد انتصاراً شخصياً له باعتباره أول رئيس حكومة سوفيتية يزور الولايات المتحدة . وأنها سوف ترفع من مكانته فى الداخل ^(٢)

وقد بدأت الزيارة يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٩ واستغرقت ١٤ يوماً . وخلالها عقد محادثات مع أيزنهاور فى كامب دافيد ، وتجول فى أنحاء الولايات المتحدة حيث زار واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس وسان فرانسيسكو وألقى عدداً من الخطب فى كل منها . وفى هذه الخطب أكد خروشوف على أنه قادم إلى الولايات المتحدة

Shuman, "The Logic of world Power", op. cit, p. 309.

(١)

Ulam, "Expansion and coexistence" op. cit, p. 264

(٢)

« بقلب مفتوح وبالنوايا الطيبة للعيش في سلام معكم ومع كل الشعوب الأخرى . . . إن الشيء الرئيسي هو أن لا نتعرض للأمور التي تقسمنا ، فنحن مرهقين ومرضى من مناقشة هذه المشاكل ، ولكن لكي نصل إلى اتفاق حول هذه النقاط التي يمكن أن نصل فيها إلى اتفاق^(١) . . . »

وقد عكس البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة حدود المناقشات التي جرت خلالها فذكر « . . . إن المحادثات لم تعقد للتفاوض حول المشاكل . . . ومع هذا فإن المأمول أن تسهم محادثاتها في فهم أفضل للدوافع ومواقف كل طرف . ومن ثم في التوصل إلى سلام عادل ودائم . . . » وحول نزع السلاح ذكر البيان : « إن الجانبين قد اتفقا على أن مسألة نزع السلاح العام الشامل هي أكثر المسائل التي تواجه العالم اليوم أهمية ، وسوف تبذل الحكومتان كل جهودهما للوصول إلى حل بناء لهذه المشكلة . . . » أما المسألة الألمانية « فقد جرى تبادل لوجهات النظر حول المسألة الألمانية بما فيها التوصل إلى معاهدة سلام مع ألمانيا . . . وفيما يتعلق بمسألة برلين فقد تم التوصل إلى تفاهم - يخضع لاتفاق الأطراف الأخرى المعنية مباشرة - بإجراء مفاوضات بغرض الوصول إلى حل يكون متفقاً مع مصالح كل المعنيين ومصالح المحافظة على السلام . »

بالإضافة إلى هذه القضايا الدولية « فقد تعرضت المناقشات للعلاقات الثنائية ومسائل التجارة بين البلدين ، وفيما يتعلق بزيادة تبادل الأفراد والأفكار فإن تقدماً ملحوظاً قد تم في المناقشات بين المسئولين . ومن المتوقع أن يتم التوصل إلى اتفاقية ما في المستقبل القريب . . . وكإطار عام لعلاقات البلدين : « فقد اتفق رئيس

الولايات المتحدة ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي على أن كل المشكلات الدولية الكبرى يجب أن تسوى ، لا باستخدام القوة ، ولكن بالوسائل السلمية وخلال المفاوضات . . . »^(١) .

وعند انتهاء زيارته للولايات المتحدة خاطب خروشوف الشعب الأمريكي . ووضع زيارته في الإطار الواقعي لها وما يمكن أن يتبع عنها فقال : « إنه ليس من السهل التغلب على كل ماتراكم خلال السنوات العديدة للحرب الباردة . ولندكركم من الخطب العديدة قد أُلقيت . والتي لم تحسن العلاقات ولكن زادت خطورة ، وإنه لمن المستحيل بذلك أن نعتد أو نتوقع تغييراً مفاجئاً في الموقف . إن عملية تحسن العلاقات بين بلدينا سوف تتطلب جهداً عظيماً وصبراً ، وأولاً وأخيراً رغبة كل جانب في خلق هذه الظروف التي ستقل حالة التوتر الحالية إلى علاقات طبيعية ، ثم إلى صداقة في صالح دعم السلام العالمي .

كما تعرض خروشوف لعنصر الاختلاف في النظم الاقتصادية والاجتماعية للبلدين فقال : « إن مسألة أن تعيش في ظل الرأسمالية أو الاشتراكية هي مسألة داخلية لكل شعب ، ويجب الالتزام بشكل صارم بعدم تدخل الدول في شئون بعضها البعض »^(٢) .

وعقب عودته لموسكو تحدث خروشوف في اجتماع عام عن « حكمة رجل الدولة والشجاعة والإرادة التي يتحلى بها أيزنهاور . . . » وقال : إن الشخص الأسمى فقط ، هو الذي سيستتج أن كل المشكلات قد حلت في كامب دافيد ، إلا أن

Kissinger's Contemporary Archive 1969. p. 17082.

(١)

Kissinger's 1969, p. 17083.

(٢)

هذا الاجتماع كان « صريحاً ومخلصاً » وإنه اقتنع أن أيزنهاور يرغب في إخلاص في تصفية الحرب الباردة وتحسين العلاقات بين البلدين العظمين إلا أنه استطرد بأنه لا يمكن تجاهل أنه مازالت هناك قوى في الولايات المتحدة تعارض تخفيف التوتر الدولي ^(١) .

وهكذا كان خروشوف فيما يتعلق بالنتائج الرئيسية للزيارة بلا أوهام . . فيرغم تقدير السوفيت لجوانب أيزنهاور الإنسانية فإنهم لم يعتبروا أنه يسيطر بشكل قوى على الموقف ، أو أنه قادر على القيام بعملية جديدة أو خطط جريء وجديد في السياسة ، فضلاً عن تقديرهم للقوى في داخل الولايات المتحدة التي مازالت تتمسك بالافتراضات الأولى عن الحرب الباردة ونوايا الاتحاد السوفيتي . كذلك كانت حرية خروشوف في التصرف قد تحدت بشكل حاد بالتراع مع بكين* .. وفي كامب دافيد عدل خروشوف موقفه حول برلين والتسوية الألمانية ، وقرر أنه بينما لا يمكن للمفاوضات أن تستمر لأجل غير محدد فإنه يجب أن لا يكون هناك موعد محدد لها . وبمعنى آخر أزال عنصر الإنذار من الموقف السوفيتي . ويزاول هذه العقبة وافق أيزنهاور على اجتماع قمة . كما أنه كان من المفروض أن يزور الاتحاد السوفيتي ويصبح أول رئيس للولايات المتحدة يزور روسيا بعد الحرب . وبهذا فإن هذين الاتفاقين أكسبا جواً من الود للمرحلة الأخيرة للمحادثات السوفيتية الأمريكية وبدأ

Kissling's p. 17084.

(١)

* يروي أيزنهاور جانباً من حديثه مع خروشوف عن الصين بقوله : إن خروشوف قد استفسر عما إذا كان أيزنهاور مستعداً لمناقشة موضوع الصين ، وهو ما لم يرحب به أيزنهاور . وكان رد فعل خروشوف أن قال : إن ادعاءات التراع بين الصين والاتحاد السوفيتي تثير السخرية ، وإنه وماوتسي تونغ أصلاً كما أن البلدين سوف يقفان معاً في أي تراع دولي .

أن «روح كامب دافيد» ، كما أصبحت تعرف بعد ذلك ، إنما تبشر بشكل ما بتسوية المشكلة الألمانية وبوقاق حاسم بين الشرق والغرب ، وربما بما هو أكثر من ذلك^(١) .

مؤتمر قمة باريس المجهض - حادث الطائرة

وسط المناخ المشجع الذى خلقه مؤتمر كامب دافيد ، جرى انتظار انعقاد مؤتمر للقمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وكذلك بريطانيا وفرنسا . غير أن الآمال التى عقدت على هذا المؤتمر قد تحطمت حتى قبل أن تبدأ جلساته فى باريس فى ١٦ مايو سنة ١٩٦٠ ..

فى ١٦ مايو اجتمع بقصر الإليزيه بباريس رؤساء الحكومات الأربعة اجتماعاً خاصاً ، وحضر الاجتماع وزراء الخارجية بالإضافة إلى وزير الدفاع السوفيتى المارشال مالينوفسكى وقد افتتح المؤتمر بيان ألقاه خروشوف قال فيه : « إن عملاً استفزازياً قد ارتكب حديثاً ضد الاتحاد السوفيتى بواسطة طيار أمريكى . فى ١ مايو

(١) Ulam "Expansion and coexistence", op. cit, p. 264-267.

« كان خروشوف قد خطب فى ٥ مايو أمام مجلس السوفيت الأعلى ولم يكشف فى شكوكه حول مؤتمر القمة المقبل . ولكنه اشتكى من أن القوى الغربية لاتعمل من أجل حلول محددة . ثم كشف عن إسقاط الطائرة U.2 ولا يقل أكثر من هذا ، ووصف الحادث بأنه عمل من الأعمال العلوانية للدوائر الامبريالية فى الولايات المتحدة التى تريد تعطيم المؤتمر أو منع الوصول إلى اتفاق . وهو ما جعلها توقفت الحادث بشكل متعمد مع انعقاد المؤتمر من أجل إخافة الاتحاد السوفيتى : راجع :

Mackintosh, "Strategy and Tactics of Soviet foreign policy", op. cit, pp. 175-177.

غزت طائرة استطلاع أمريكية الاتحاد السوفيتي وهي تقوم بمهمة تجسس للحصول على معلومات حول المنشآت العسكرية والصناعية في الاتحاد السوفيتي . وبعد معرفة الغرض العدواني لهذه الطائرة فقد أسقطت بواسطة الصواريخ السوفيتية ، ولسوء الحظ فإن هذه لم تكن عمل التجسس الوحيد من جانب الطيران الأمريكي ضد الاتحاد السوفيتي * .

وبعد أن تعرض خروشوف للبيانات المتناقضة التي صدرت عن وزارة الخارجية الأمريكية ووزير الخارجية والرئيس أيزنهاور ** تساءل : « كيف يمكن أن نتفاوض بشكل مثمر حول المسائل التي تواجه المؤتمر ، في الوقت الذي لم تُدِن فيه الحكومة الأمريكية أو الرئيس الأمريكي هذا العمل الاستفزازي ، وإنما على النقيض أعلن أن هذه الأعمال سوف تستمر كسياسة قومية للولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفيتي . . . » ثم قدّم خروشوف شروطه للاستمرار في المؤتمر بقوله : « . . . إنه إذا

* كانت وكالة المخابرات المركزية قد عملت لمدة ٤ سنوات قبل الحادث على توجيه طائرة U.2 بغرض تصوير روسيا وحلفائها والصين الشيوعية ، وقدم هذا للولايات المتحدة معلومات على قدر كبير من الأهمية حول الاتحاد السوفيتي ، دون أن يكون لهذا مقابل عند الروس يسمح لهم بتصوير الولايات المتحدة وقد وافق أيزنهاور على رحلة أخرى لـ U.2 على الرغم مما قد يعرض هذا مؤتمر القمة القادم للخطر ، وكان الدافع وراء توجيه هذه الطائرة أنها قد تكون الأخيرة إذا ماتم التوصل إلى وفاق في المؤتمر يؤدي إلى وقفها بشكل دائم . وكان لدى وكالة المخابرات معلومات على أن صاروخاً سوفيتياً جديداً يجري إنشاؤه قرب سترولفسكي ، ولهذا كانت مهمة قائد الطائرة بورز هي تصوير هذا الصاروخ .

Ibid, pp. 175- 177

راجع :

.. في ١١ مايو خاطب أيزنهاور الشعب الأمريكي قائلاً : إن رحلة الطائرة U.2 ورحلاتها المثيلة هي « ضرورة حيوية » لأن الروس يقلسون السرية والتمويه ، كما ردّد بياناً أذاعه وزير خارجيته يوم ٩ مايو بأن الرحلات سوف تستمر .. كما روى خلفاء أيزنهاور أنه اعتبر أن التجسس هو « حق من حقوق السيادة » راجع : (Nation, "U.S. Foreign Policy and world order," op. cit, p. 266).

أعلنت حكومة الولايات المتحدة أنها لم تقلع في المستقبل على خرق الحدود السوفيتية بطائراتها ، وأنها تأسف للأعمال الاستغزازية التي اتخذت في الماضي* ، وأنها سوف تعاقب المذنبين بشكل مباشر عن هذه الأعمال فإني كرئيس للحكومة السوفيتية سأكون مستعداً للاشتراك في المؤتمر في ممارسة كل الجهود للمساهمة في نجاحه . . . كما تعرض خروشوف لتأثير هذا الحادث على الزيارة المرتقبة للرئيس الأمريكي للاتحاد السوفيتي فقال : « لقد كان من المتوقع أن يزور رئيس الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي في ١٠ يونيو ، وقد أعدنا استقبالاً قليلاً لهذا الضيف الكبير ، ولسوء الحظ فإن الأعمال المثيرة والعدوانية ضد الاتحاد السوفيتي جرّدتنا من إمكانية استقبال الرئيس بالحفاوة التي يديها الشعب السوفيتي لضيوفه ، فالشعب السوفيتي لا يستطيع ولا يريد أن يكون مناقحاً ؛ ولذلك أعتقد أن زيارة الرئيس الأمريكي يجب أن تؤجل ، وأن موعد هذه الزيارة يجب أن يتحدد حين تتضح الظروف^(١) .

وقد ردّ أيزنهاور على بيان خروشوف فوصفه بالعنف وعدم الدقة وقال : « إنه في بياني في ١١ مايو وبيان وزير الخارجية في ٩ مايو فإن موقف الولايات المتحدة قد أوضح ما يتعلق بالضرورة غير المستساغة لنشاط التجسس في عالم لا تتق فيه الأمم في بعضها وفي نواياها - وقد أوضحنا أن هذه النشاطات ليس لها نوايا عدوانية وإنما

* يروي خروشوف في مذكراته أنه حين قدم هذا الشرط سمع مترجمه أيزنهاور - يسأل وزير خارجيته هرتر : لماذا لا ؟ ورفض هرتر بطريقة متجهمة لم تترك مجالاً للجدل ، ويقول خروشوف إن هذه الواقعة تثبت أن أيزنهاور كان يمكن أن يتبع غرائزه الطيبة ويوافق على طلبنا ، ولكن للأسف لم يكن هو الوحيد الذي يقرر سياسة أمريكا الخارجية .

(Khrushchev Remembers, op. cit., pp. 447-448.

Kissinger's. 1960, pp. 17437-17438.

راجع :

(١)

لكى تؤكد أمن الولايات المتحدة والعالم الحر ضد هجوم مفاجيء من القوى التى تفاخر بقدرتها على إبادة الولايات المتحدة والبلدان الأخرى بالصواريخ المسلحة بالرؤوس الذرية ، وكما هو معروف جيداً فإنه ليس فقط الولايات المتحدة وإنما معظم الأنظار الأخرى هى أهداف دائمة لأعمال تجسس دائبة من الاتحاد السوفيتى . . . وأضاف أيزنهاور . . . فى الحقيقة إن هذه الرحلات قد أوقفت بعد هذه الحادثة ، ولذلك فيجب أن لا تشكل مشكلة ، وقد أتينا إلى باريس لكى نبحث عن اتفاقات مع الاتحاد السوفيتى يمكن أن تزيل ضرورة كل إشكال التجسس بما فيها رحلات الطائرات ولا أجد سبباً لاستعمال هذا الحادث لقطع المؤتمر . . . ثم كشف الرئيس أيزنهاور عن اقتراح له عن الإشراف الجوى فقال : « إذا ثبت أنه من غير الممكن - بسبب اتجاه الاتحاد السوفيتى - أن نتفهم هنا فى باريس هذه المشكلة والمسائل الأخرى التى تهدد سلام العالم ، فإن فى نيتى فى المستقبل القريب أن أقدم للأمم المتحدة اقتراحاً لإقامة نظام للإشراف الجوى يمكن الأمم المتحدة من تقصى استعدادات الهجوم ، وقد كان فى نيتى أن أضع هذه الخطة أمام المؤتمر . . . » وانتهى أيزنهاور إلى القول : « برغم أنه من الواضح أن خروشوف قد جاء من موسكو إلى باريس بهدف واحد هو تخريب هذا الاجتماع الذى تعلقت به آمال العالم ، برغم هذا التطور العكسى والخطير فإنه ليس لدى أى نية فى تقليل جهودى المستمرة للرفع التقدم نحو سلام قائم على العدل . »^(١)

وعقد خروشوف مؤتمراً صحفياً رد فيه على النقاط التى وردت فى بيان أيزنهاور وقال : « إن ما ذكره أيزنهاور فى بيانه الافتتاحى فى ١٦ مايو عن أن رحلات

الطائرات سوف تتوقف خلال المدة الباقية من رئاسته ، ولكن لا نعرف ما هو القرار الذى سيتخذه الرئيس التالى . . وهكذا فإن ما يعد به أيزنهاور هو موقف مؤقت حتى يناير سنة ١٩٦١ ، إلا أن العلاقات الدولية لا يمكن أن تُبنى على مدة رئاسة هذا الرئيس أو ذاك ، وإلا فما هى قيمة أى اتفاقات دولية . وردّ خروشوف على اقتراح أيزنهاور حول التفتيش الجوى فقال : « لا نملك إلا أن نندهش من بيان أيزنهاور الذى بدا كأنه تهديد . . إنه يخطط لكى يقدم إلى الأمم المتحدة خطة جديدة عن « السماوات المفتوحة » فبعد أن تحقق البتاجون أن سماوات الاتحاد السوفيتى مغلقة أمام طائرات التجسس الأمريكية ، فإنه قد قرر إرسال طائرات بنفس الهدف ولكن تحت علم الأمم المتحدة . . إننا نأمل أن لا تصبح الأمم المتحدة فرعاً للبتاجون وأنها سوف ترفض هذا الدور المهيّن »^(١) . .

توضح هذه النهاية التى انتهى إليها مؤتمر باريس بوجه عام وبرغم المناخ الذى سبقها - أن العلاقات بين القوتين لم تكن بعد قد امتلكت الأسس التى يمكنها أن تصمد لمثل هذه الحوادث . المهم هو التساؤل عن : لماذا أصرّ خروشوف على موقفه من المؤتمر؟ ثمة عدد من الملاحظات بعضها يتعلق بشخص خروشوف ، ذلك أنه بعد زيارته للولايات المتحدة وجهوده الواضحة نحو الوفاق ، فإن حادث الطائرة قد سبّب له ضيقاً شخصياً بل ربما أضعفه سياسياً خاصة بعد الملاحظات الودية العلنية التى وجهها إلى أيزنهاور وثنائه عليه^(٢) ، ومن الزاوية الموضوعية فإنه برغم أن رحلات U2 كانت معروفة للاتحاد السوفيتى فإنه يبدو أنهم لم يقدروا مدى

Ibid, p. 17440.

(١)

Macherny, James "Khrushchev and Kennedy in retrospect, the open (٢) door Press, California, 1971, p. 50.

المعلومات التي قدمتها للولايات المتحدة إلّا بعد أن اكتشفوا وفحصوا الطائرة وأدركوا مدى ما زودت به من آلات تصوير^(١) .

غير أن موقف خروشوف هذا من المؤتمر لم يصاحبه موقف مماثل من اتجاهاته نحو سياسة التعايش السلمي ، ففي الوقت الذي طالب فيه بتأجيل المؤتمر ، عبّر أيضاً عن اعتقاده الصارم بضرورة التعايش السلمي . وعبر عن أن فقد الثقة في التعايش السلمي يعني أن نحكم بالحرب على البشرية وأن نوافق على حتمية الحرب التي تعني في ظل الظروف القائمة الكوارث التي تجلبها على الشعوب في كل أنحاء الأرض . وارتباطاً بهذا البيان المهدئ أيضاً سارع موظفو وزارة الخارجية السوفيتية إلى التصريح بأن الاتحاد السوفيتي ليس لديه النية على عقد معاهدة منفصلة مع ألمانيا الشرقية في المستقبل القريب . . وأكد خروشوف نفسه هذا في خطاب في برلين الشرقية في ٢٠ مايو قال فيه : « في هذه الظروف ، فإن الأمر يستحق الانتظار أكثر من هذا قليلاً ، ومحاولة إيجاد حل بالجهود المشتركة للقوى المنتصرة للمشكلة التي طال انتظارها لتوقيع معاهدة سلام بين الدولتين الألمانيتين . وأنه يبدو أن الموقف الراهن سوف يستمر حتى اجتماع رؤساء الحكومات الذي يؤمل أن يجري خلال ستة أو ثمانية شهور . . »^(٢)

* * *

وهكذا يشير تطور علاقات القوتين حتى هذه المرحلة إلى أنه :
إذا كانت القواعد الأساسية للحرب الباردة ومؤسساتها في كل من الاتحاد

(١) Mackintosh "Strategy and Tactics of Soviet foreign policy", op. cit., p. 188.

(٢) Mcsherny, "Khrushchev and Kennedy." op. cit, p. 52.

السوفيتي والولايات المتحدة قد أقيمت خلال فترة حكم ترومان وستالين ، فإن علاقات القوتين قد شهدت خلال حكم أيزنهاور وخلفاء ستالين - وخاصة عند خروشوف - محاولات تهدف إلى تغيير اللغة الدبلوماسية في إدارة علاقاتها وإيجاد حلول للمشكلات التي تواجههما . وقد تحقق هذا إلى حد ما في مؤتمر قمة جنيف على الأقل من حيث التخاطب بلغة أقل عنفاً وإتاحة الفرصة للتعامل ، والتعامل الشخصي ، ثم في خلق مناخ مشجع كما حدث في كامب دافيد ، إلا أن محاولة الذهاب إلى أكثر من هذا قد أحبطت في مؤتمر قمة باريس . .

على أن ما هو مهم هو الاعتبارات التي كانت وراء هذه المحاولات لدى كل من الجانبين فقد ورثت القيادة التي خلفت ستالين أمةً في حالة أزمة من وجوه شتى في الإدارة والحكم وتلبية حاجات الشعب ، والحالة المعنوية المنخفضة التي نتجت عن ذلك ، وهي الأمور التي لم يعترف بها ستالين في ظل مناخ الحرب الباردة ؛ ولذلك وبدلاً من تعليق السياسة الداخلية على حاجات الحرب الباردة فإن القيادة التي خلفت ستالين اتجهت إلى أن تعطى مكان الأولوية للحاجات الداخلية ومشاكلها ، والبحث عن الوفاق الذي لم يكن فقط يخفف من الأخطار الخارجية على الأمن السوفيتي (مثل إنهاء حرب كوريا) بل وسيجعل من الممكن أيضاً إعادة تخصيص الميزانيات السوفيتية الشحيحة للاحتياجات الداخلية وخاصة الصناعات الاستهلاكية التي طال إهمالها ، وهكذا كان الارتباط بالتطور الداخلي والإصلاح عاملاً ملائماً للاستقرار الدولي^(١)

Hoffman, Eric, & Fredric feron (eds). "The Conduct of soviet foreign (١) Policy". London, Buter worth, 1971, pp. 297-298.

وقد نشأ مثل هذا الوضع في الجانب الآخر وخاصةً في عهد أيزنهاور ، فقد اتجهت حكومته بوجه خاص إلى الاستجابة بشكل ملائم لمفهوم العلاقة المتغيرة التي تتضمن قدرًا من التعاون وإن لم تخلُ من المنافسة السياسية المستمرة مع روسيا السوفيتية ، كما أظهرت أيضًا إدراكًا بأن مثل هذا التعاون يمكن أن يثبت أنه مطلب أساسي للبقاء المشترك في العصر الذري ، كما أنها هي الأخرى لها مصلحة في وقف التكاليف الباهظة للأسلحة التكنولوجية الحديثة وتساعد سباق التسلح .. (١)

وهكذا كان من الواضح أن أيزنهاور - وإن كان بطريقة محدودة - قد اختار السلام فإنه خلال الفترة المتبقية من رئاسته حذر من خطر تحويل أمريكا إلى قلعة أو دولة مسلحة * .

وكجندى محترف من المدرسة القديمة شعر أيزنهاور أن مسئوليته الأولى هي أمن الولايات المتحدة ، ولكنه تحقق أن هذا الأمن لا يمكن أن يتدعم عن طريق سباق التسلح في عصر ذري ، واعتبر أنه إذا ما أنتجت الولايات المتحدة مزيدًا من القاذفات والصواريخ فإن الروس سوف يبنون أيضًا المزيد منها ، وفي هذه الحالة فإن الأمن الأمريكي لن يقوى بل سيضعف . ومن هنا بدت له المفاوضات مع

Ibid, p. 299.

(١)

• في فبراير عام ١٩٦١ عبر أيزنهاور في رسالة الوداع إلى الشعب الأمريكي عن قلقه من الثمن الباهظ الذي يدفع في الحرب الباردة ، وعن خشيته من أن يهدد الجهاز الحكومي الفسخم الحياة الخاصة للأمريكيين وقيمهم ، ولذلك أراد أن يحذر مواطنيه وأشار إلى أن « تضافر مؤسسه عسكرية ضخمة وصناعة أسلحة كبيرة إنما هو شر جديد في التجربة الأمريكية يمارس تفوقًا كليًا يشعربه في كل مدينة وكل منزل وكل مكتب في الحكومة الفدرالية . وقال : « إننا نجب أن نحاط ضد حصول المؤسسة العسكرية الصناعية على نفوذ لا لزوم له سواء أكان بقصد أم بغير قصد » .

(Ambrose, "Rise to Globalism" op. cit., p. 271)

راجع :

الروس كطريق أكثر فعالية لدعم الأمن القومي .
وقد كان كلُّ من أيزنهاور وخروشوف حريصاً على دعم مفهوم التعايش
السلمي ، كلُّ لأسبابه الخاصة ، ولكن مع عام ١٩٥٩ كانت الحرب الباردة قد
استمرت لزمان بعيد جعلت التغلب عليها ليس بالأمر السهل ، فكلا الرجلين كان
عليه أن يعمل ويواجه المتشددين في الداخل ، كما كان لكل منهما متاعبه مع
حلفائه ، كما كان كلاهما محملاً بمشكلات العالم الثالث بشكل يمكن معه القول إنها
لم يكونا يفهماها أو يمكنها التحكّم فيها .

فبالنسبة لأيزنهاور ، فقد كان يواجه الديمقراطيين الذين كانوا يريدون سباقاً
للتسلح ، وكان في رأيهم أن الإنفاق الحكومي إنما يعين ولا يضعف الاقتصاد ،
وكان قادتهم من أمثال جونسون وكندى وهمفري قد فقدوا صبرهم مع اتجاه سياسة
أيزنهاور المحافظة ، وأخذوا يتطلّعون إلى رئيس ديناميكي ويتحدثون بشكل دائم عن
فقدان أمريكا لمكانتها ، وكانوا يريدون أن تستعيد أمريكا قيادة العالم . الأمر الذي
كان يعني عملياً مزيداً من الالتزامات الأمريكية وزيادة الأسلحة الأمريكية . ولم
يكن أيزنهاور يواجه الديمقراطيين فقط ، وإنما المتقدمين من بين صفوف
الجمهوريين الذين كانوا يريدون سماع حديث التحرير والتشدد وشعارات دحر
الشيوعية ، هذا فضلاً عن أن أيزنهاور ذاته لم يكن قد تحرر تماماً من إطارات
التفكير في الحرب الباردة .

كذلك كان الحال مع خروشوف الذي كان يواجه أيضاً المتشددين في موسكو ،
الذين كانوا يدفعونه نحو الحاقة : كما أن ماوتسى تونج قد أصبح مشكلة بالنسبة
لخروشوف مثلاً أصبح تشاينج كاي شيك بالنسبة لأيزنهاور ، حيث كان رفضُ

خروشوف موافقةً ماو على حروب التحرير ، يعنى بالنسبة لماو أنَّ الروس قد انضموا للقوى التى تملك . ضدَّ التى لا تملك . واعتبر الصينيون أن رحلة خروشوف للولايات المتحدة . وذهبه إلى مؤتمر باريس . ووقف أزمة برلين تحلياً عن الشيوعية والعالم الثالث . واتهموا خروشوف بالتهذبة .^(١)

وباختصار ، فإن كلاً من أيزنهاور وخروشوف قد ذهب بعيداً نحو التعايش السلمى * بالنسبة لأنصار الحرب الباردة فى بلادهم . وبالنسبة لحلفائهم ، ولكن يمكن القول إن خروشوف كان فى الموقف الأضعف داخلياً عن أيزنهاور وخاصة فى المسائل العسكرية التى كان القادة العسكريون الأمريكيون ، وباعتبار مكانة وتاريخ أيزنهاور العسكرى ، يترددون فى انتقاد أيزنهاور أو مجادلته حولها .

وفى مثل هذه المرحلة من تطور علاقات القوتين فإنه يحق أن نتساءل عن حسابات المكسب والخسارة بالنسبة لكل منهما ، وعن مدى نجاح السياسات التى اتبعوها وأهدافهم منها . وتقع سياسة الاحتواء الأمريكى لما اعتبرته الولايات المتحدة نوايا وطموح الاتحاد السوفيتى التوسعى وخاصة فى أوربا فى مركز هذه المرحلة ، من حيث ما ولّدت من أفعال وردود أفعال تطورت لكى تشكل أساس علاقات القوتين للحقبتين القادمتين . . فى هذا الشأن ، فإن تقييماً موضوعياً لسياسة الاحتواء سوف

Ibid, p. 262.

(١)

* يرتبط اسم خروشوف وأول مؤتمر عام للحزب الشيوعى السوفيتى خلال زعامته وهو المؤتمر العشرون - فبراير سنة ١٩٥٦ - يرتبط بتأكيد مفهوم التعايش السلمى فى السياسة الخارجية السوفيتية . وهو لم يكتف بإبراز هذا المفهوم بل أعلنه مناقضاً به مفهوم ماركسيا لينينياً بأن الحرب ستظل حتمية مادامت الرأسمالية قائمة ودعا الماركسيين أن يأخذوا فى الاعتبار التغيرات التى حدثت منذ أن صيغ هذا المفهوم .

(Rubinstien, "Foreign Policy of the soviet union" op. cit. p. 298).

يستخلص أنه في الأهداف الأساسية للولايات المتحدة من منع التوسع السوفيتي في غرب أوروبا قد حققت نجاحاً كاملاً ، فلم يكسب السوفيت بوصة واحدة في أوروبا أو في أى مكان آخر من العالم منذ عام ١٩٤٥ من خلال التدخل المباشر ، والدولة الوحيدة التى دخلت في النطاق السوفيتي بعد عام ١٩٤٥ كانت تشيكوسلوفاكيا ، وقد تحقق هذا عن طريق انقلاب داخلي عام ١٩٤٨ . كذلك لم يعد الشيوعيون يمثلون تهديداً خطيراً في إيطاليا أو فرنسا أو اليونان وهى الأقطار التى كانت قوة الأحزاب الشيوعية فيها قد بلغت القمة عقب الحرب مباشرة ، هذا فضلاً عن إعادة بناء اقتصاديات أوروبا واستقرارها الداخلى^(١) .

ولكن ماذا عن الأهداف البعيدة لسياسة الاحتواء وبشكل خاص فيما يتعلق بالخفض التدريجي للقوة السوفيتية والنفوذ السوفيتي في شرق أوروبا «وتحرير» أقطارها ، هنا يمكن القول إن سياسة الاحتواء كانت فشلاً مطلقاً . فقد دمج الاتحاد السوفيتي المنطقة ككتلة شيوعية تحت إشرافه وسيطرته ، وفي نفس الوقت تقبلت الولايات المتحدة فقدان شرق أوروبا ، وإن كان قادتها لم يقولوا هذا علانية . ويمكن أن تقارن البيانات الأمريكية حتى مجئ إدارة أيزنهاور وسنواتها الأولى بما أصبح يصدر عن نفس هذه الإدارة فيما بعد لكى تتأكد من اختفاء عبارات التحرير ودحر الشيوعية أو حتى إجراء انتخابات حرة . وقد كان العجز الأمريكى عن اتخاذ أى إجراء أياً كان خلال الثورة المجرية عام ١٩٥٦ تأكيداً لهذه الحقيقة^(٢) .

(١) Rakove, Milton (ed.) "Arms and foreign Policy in the Nuclear age", oxford university press, London, 1972, p. 142.

Ibid, p. 143.

(٢)

نخلص من هنا إلى أن الوضع الذي ساد حتى هذه المرحلة - وسيطور بعد هذا بشكل أكثر في هذا الاتجاه - إنما يمكن وصفه بتعادل حسابات الربح والخسارة لكلا القوتين ، وأن مثل هذا الوضع إنما يرجع في الدرجة الأولى إلى أن المشكلة الأساسية لم تعد هي الحرب الباردة وقيمها الصحيحة أو الخاطئة ، وإنما هي ثورة التكنولوجيا العسكرية التي أتت بأوضاع وفروض كانت أقوى من دوافع القوتين الخاصة . وأصبحت الممارسات التقليدية للسياسات الدولية تتحكم فيها تهديد القوى المدمرة التي أطلقتها هذه الثورة . وفي ظل هذه العلاقة لم تعد أى قوة نووية تستطيع أن تجازف بالحرب مع قوة نووية أخرى ، إلا أن المفارقة التي مستثا في مقابل هذا وتجعل من علاقة القوتين علاقة غريبة حقاً هي أن أى أمة عظمى لا تستطيع أن تمارس سياسة خارجية فعالة إن لم تكن مستعدة لأن تحارب .

أزمة الصواريخ الكوبية

بقدر ما كانت أزمة الصواريخ الكوبية قمة علاقات الحرب الباردة ومواجهاتها ، بقدر ما كانت إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في علاقات القوتين تتجه إلى بناء إطار جديد لعلاقاتها يتفق ووقائع العصر النووي وأخطاره . وقد بدأت أحداث هذه الأزمة المباشرة يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٦٢ ، حين أعلن الرئيس الأمريكى جون كنيدي عن اكتشاف « سلسلة من مواقع الصواريخ السوفيتية يجرى إنشاؤها في كوبا . . وتشير مواصفات هذه الصواريخ إلى أنها صواريخ متوسطة المدى ، قادرة على حمل رؤوس ذرية لمسافة أبعد من ١٠٠٠ ميل ، قادرة على ضرب واشنطن وقناة بنما ومكسيكو أو أى مدن أخرى في الجنوب

الشرق للولايات المتحدة وأمريكا الوسطى ومنطقة الكاريبي . . ، ولمواجهة هذا العمل أعلن الرئيس الأمريكى عن عدّة إجراءات ، منها فرض حصار على المعدات الهجومية التى تشحن إلى كوبا من أى جنسية أو من أى ميناء ، أمّا على الجانب السوفيتى ، فقد أنكر فى البداية وجود مثل هذه الصواريخ وأدان « الحصار الانتقامى على كوبا » ووصفه بأنه عمل من أعمال القرصنة ، واتهم الولايات المتحدة بالعمل على إشعال حرب نووية .

ومع يوم ٢٦ أكتوبر بدأ الموقف يسوء ، فقد أعلن الاتحاد السوفيتى على لسان وزير الدفاع أقصى حالات الاستعداد بين قواته المسلحة ، وأنه « من أول إشارة فإن كل قوة قواتنا المسلحة يجب أن تتجه إلى العمل النووى ضدّ العدو ومراكزه العسكرية والاقتصادية » ، وفى واشنطن صدر عن البيت الأبيض أن العمل فى إقامة القواعد السوفيتية فى كوبا مستمر وبسرعة^(١) .

على أنه فى نفس اليوم أيضاً صدر عن الاتحاد السوفيتى محاولة للاتصال مع المسئولين الأمريكين على مستوى غير رسمى ، حول حلّ ممكن للأزمة يقوم على انسحاب الصواريخ السوفيتية وإجراءات تفتيشية من الأمم المتحدة ، مقابل وعد أمريكى بعدم غزو كوبا ، وهو ما استجابت له الولايات المتحدة بشكل غير رسمى كذلك ، وقد أكد الاتحاد السوفيتى هذا الاتصال غير الرسمى برسالة من خروشوف إلى كيندى صيغت على أساس نفس الاقتراح . ورداً على هذه الرسالة بعث كيندى إلى خروشوف برسالة يوافق فيها على :

(١) أن يقوم الاتحاد السوفيتى بإزالة الأسلحة الصاروخية من كوبا تحت رقابة

مناسبة من الأمم المتحدة ، وتقديم ضمانات كافية لوقف إدخال مزيد من هذه الأسلحة إلى كوبا .

(ب) أن تزيل الولايات المتحدة إجراءات الحصار المضروب على كوبا ، وتقديم تأكيدات ضدّ أى غزو لكوبا .

وذهب كنيدي إلى تصوّر إجراءات أبعد من هذا ، فقال : إنه إذا كان خروشوف « مستعداً لأن يناقش وفقاً يتعلّق بحلّي وارسو والأطلنطي فإننا مستعدّون لأن تناقش مع حلفائنا أى اقتراحات مفيدة . . . »^(١) .

وفي ٢٨ أكتوبر بدأت بوادر انفراج الأزمة . فقد وجه خروشوف إلى كنيدي خطاباً صيغ بشكل ودّي أعلن فيه . . « إن الحكومة السوفيتية قد أصدرت تعليماتها بوقف العمل في مواقع الصواريخ ، بل وإزالتها وإعادةها إلى الاتحاد السوفيتي . . »

وهكذا أنهى تبادل هذين الخطابين حالة التوتر التي حلّت حول العالم لمدة ستة أيام . ومن المهم أن نشير إلى أسلوب معالجة زعيمى القوتين للأزمة وإدارتهما لتطوراتها بشكل حكيم - وبغضّ النظر عن تبادل الاتهامات والتهديدات - إدراك واقعىّ لمدى ما يمكن أن تتطور إليه الأزمة إذا ما اتخذت معنى آخر .

فعلى الجانب الأمريكى كان من الواضح منذ بداية الأزمة أن الرئيس كنيدي يعمل في مناقشاته مع مستشاريه وأعضاء الكونجرس على حصر الاختيار العسكرى ، وتصور ماذا يمكن أن يلجأ إليه الجانب الآخر ، وما يحمله هذا من احتمالات صدام نووى . كما كان يحرص على عدم إهانة خروشوف وعدم دفع السوفيت إلى

تصعيد استجاباتهم لأن أمنهم القومى ومصالحهم القومية تلزمهم بذلك . أما على الجانب السوفيتى فإن الإجراء الذى اتخذه وحسم به الأزمة بإزالته لقواعد الصواريخ من كوبا قد أوضح عملاً لا قولاً إدراكه للآثار البالغة الخطورة إذا ما أصرّ على عدم سحب الصواريخ ، وأن ذلك يعنى مواجهة نووية بينه وبين الولايات المتحدة ، وكانت رسائل خروشوف إلى كيندى خلال الأزمة تتضمن تصوراً واضحاً لمثل هذا المصير .

وإذا كان لأسلوب إدارة القوتين للأزمة أهميته ودلالاته ، فإن الأزمة ذاتها ، وبالشكل الذى انتهت به ، كان لها دروسها البليغة لدى كلّ جانب . فقد تعلم السوفيت أن قادتهم السياسيين قدّروا فرص التحكّم فى أخطار تصعيد الأزمات بحيث تمكنوا من سحب الصواريخ بدون مواجهة مع الولايات المتحدة ، كذلك أدرك السوفيت كيف أنهم أخطأوا بشكل خطير فى تقدير ردّ الفعل المحتمل لإجراءات مثل التى اتخذوها فى كوبا وأثرت على منطقة حيوية بالنسبة للأمن الأمريكى^(١) ، أما المعنى البارز الذى أبرزته أزمة الصواريخ بالنسبة للاتحاد السوفيتى فقد كان يتعلق بتقديراته عن قواه الاستراتيجية فى علاقاتها بالقوى الاستراتيجية للولايات المتحدة ، فقد كان خروشوف ، وقبل الأزمة مباشرة ، يباهى بأن الاتحاد السوفيتى قد حقق التعادل ، إن لم يكن التفوق النووى على الولايات المتحدة^(٢) ، ووفقاً لهذا التقدير كان الإجراء السوفيتى فى كوبا أول محاولة أراد بها خروشوف أن يختبر هذا التقدير الذى كان يعنى أن الاتحاد السوفيتى قد انتقل

(١) Elanor, Lasing & Robert Grace (eds.) "Detente, Cold war stratigies in transition" George Town University. Frederick prager.

(٢) Jordan, David, "world politics in our Times" op. cit., p. 145.

من قوة قارية Regional إلى قوة عالمية Glabal^(١) وقد كانت نتيجة هذه المحاولة وما أثبتته من عدم احتكام الاتحاد السوفيتي على عناصر التعادل النووي مع الولايات المتحدة هو الشاغل الرئيسي للقيادة التي ستخلف خروشوف وتركيزها على تحقيق هذا التعادل^(٢)

أما بالنسبة للرئيس الأمريكي فإن مشاعره قد تعرضت لتغيرات كيفية بعد تجربة كوبا ، وأصبح يؤمن : « أن العالم الذي تتحدى فيه أمة أخرى بأسلحة نووية لم يعد خاليًا من أي معقولة فحسب ، بل عالم غير محتمل وغير ممكن »^(٣) . وقد أصبح كينيدي في الشهور الأخيرة من حياته مشغولاً في الشروع في طريق جديد للأمة الأمريكية ، وفي سلسلة من الخطب والأعمال مع بداية يونيو ١٩٦٣ ، بدأ يشير بالمستقبل مع استمرار وعيه بالمشكلات القديمة ، وقد وصف طبيعة هذا العمل بقوله : « إتنا نعيش في عصر من الاعتماد المتبادل والاستقلال وكذلك القومية ، واليوم ليس هناك مشكلات ألمانية خالصة أو أمريكية أو حتى أوربية خالصة . إن هناك مشكلات عالمية^(٤) . وفي خطابه الذي ألقاه في الجامعة الأمريكية في يونيو ١٩٦٣ دعا الأمريكيين أن يفكروا في إطار جديد للمناقشة بينهم وبين السوفيت في ظروف العصر النووي وإنه في العصر النووي فإن السلام قد أصبح هو الغاية الضرورية والعقلية للرجال العقلاء ، وقد قيل إنه من الحقيقي أن نحلم بالسلام . .

(١) Schwartz, Morton, "The motive forces of soviet foreign policy" University of Denver, 1971, p. 11.

(٢) Edmonds "Soviet foreign Policy..." op. cit.

(٣) Schlesinger "A thousands days" op. cit, p. 893.

(٤) Rock, vincent, "The strategy of Interdependence "New York, Charles scribes & sons, 1964. "

حتى يتخذ الاتحاد السوفيتى اتجاهاً أكثر تنوراً ، ولأننى آمل أن يفعلوا هذا ، ولكنى أعتقد أننا نستطيع مساعدتهم .. ثم أضاف عبارة من شأنها أن تحول النظر الأمريكى فى الحرب الباردة « ولكنى أيضاً أعتقد أننا يجب أن نعيد النظر فى اتجاها كافراد وكأمة ، لأن اتجاها مهم مثل اتجاهاهم » .

ولقد لى خطاب كنىدى هذا استجابة واضحة لدى الرئيس السوفيتى ، ووصفه خروشوف بأنه « أعظم خطاب لرئيس أمريكى بعد روزفلت » ^(١) .

وهكذا خلق المناخ الذى شجع اتخاذ خطوات فى سبيل التفاهم والتعايش ، وكان من أبرزها توقيع معاهدة الحظر الجزئى للتجارب الذرية فى يونيو عام ١٩٦٣ ، والى كانت أولى خطوات القوتين نحو حصر وتقييد أخطار الأسلحة النووية ، ووصفها كنىدى بأنها « ليست نهاية المطاف ، ولكنها خطوة أولى هامة .. خطوة نحو السلام والعقل ، وبعيداً عن الحرب » ^(٢) .

كما عقب عليها خروشوف : « إنها تثبت أن المشكلات الدولية يمكن أن تعمل على أسس مقبولة إذا توفرت الرغبة والجهد والإرادة الطيبة لدى القوى الكبرى .. إن هذه الخطوة سوف تساهم فى التخفيف العام للتوتر الدولى ، وفى حل المشكلات الدولية التى طال انتظارها » ^(٣) .

بالإضافة إلى هذا الإنجاز الرئيسى ، فقد اتفق على إنشاء الخط الساخن بين البيت الأبيض والكرملين مباشرة لتسهيل الاتصالات خلال الأزمات ، كما اتفق

(١) Merlie "Makers of American Diplomacy" op. cit, pp. 901-902.

(٢) Sorenson "Kennedy" op. cit. p. 757.

(٣) Dallin, Alexander, "Soviet politics since stalin's death" Prentice Hall, London, 1968, p. 94.

على خطوات أخرى مثل الاتفاق على الاستطلاع الجوي المتبادل بالأقمار الصناعية ، كذلك أبدى السوفيت تفهماً أكبر حين عدّل جروميكوف في الأمم المتحدة من البرنامج السوفيتي لنزع السلاح العام الشامل الأول ، واقترح بدلاً منه أن تحتفظ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعدد محدود من الصواريخ والرؤوس الذرية على أراضيها حتى نهاية مرحلة نزع السلاح . ومن ناحية أخرى تمت صفقة القمح الأمريكي للاتحاد السوفيتي واعتبرت ، كما عبر الرئيس كينيدي : « خطوة مباشرة أخرى بأن عالماً أكثر سلاماً هو أمر ممكن ومفيد لنا جميعاً »^(١) .

وقد دفعت هذه التطورات بيوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة ، الذي عاصر من خلال المنظمة الدولية وتابع أزمة الصواريخ الكوبية منذ تأزمها حتى انفراجها ، دفعته إلى أن يعتبر أن الأزمة وتجاوزها كانت إيذاناً بفجر الوفاق^(٢) ، واعتمد في هذا على الخطاب المشترك الذي وجهه إليه في ٧ يناير ١٩٦٣ أدلاي ستيفنسون ممثل الولايات المتحدة في المنظمة ، وفاسيلي كوزنتسوف نائب وزير الخارجية السوفيتي معرباً عن ما يمكن أن تفتحه تسوية الأزمة من تعاون أشمل بين القوتين ، « إن حكومتى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يعربان عن الأمل بأن الأعمال التي اتخذت لتفادي التهديد بالحرب في هذه الأزمة سوف تؤدي إلى تسوية خلافات بينهما ، وتحقيق مزيد من خفض التوترات التي قد تسبب للمدنية من التهديد بالحرب »^(٣)

King's Archive, 1963, p. 19733

(١)

Uthant "view from the U.N. The Memoirs of U Thant", Daubleday comp. New York, 1978, p. 193-194.

(٢)

Ibid.

(٣)

غير أننا لا نستطيع أن نعتبر أن هذا التطور وهذه الإجراءات الإيجابية التي أسفرت عنها أزمة الصواريخ الكوبية تعني أن وفاقاً حقيقياً قد تحقق بين القوتين ، أو أن مصادر الصراع بينهما قد صفيت ، ذلك أنه في النهاية فإن الفجوة الفلسفية التي تفصل بين القوتين كنظامين اجتماعيين متناقضين لا يمكن عبورها نتيجة اتفاقات فنية كتلك التي تمّ التوصل إليها . فإذا كانت هذه الاتفاقات قد عكست قلقاً مشتركاً لدى القوتين إلا أنها لم تعكس قيماً مشتركة . ففي عام ١٩٦٣ ، وهو العام الذي شهد هذا التطور ، عبر خروشوف للمثقفين السوفيت : « إنه ضدّ التعايش السلمي في المجال الأيديولوجي ، بل إن الجدل الأيديولوجي بين النظامين يجب أن يستمر ، بل ويتزايد في ظلّ الوفاق » ، أما الرئيس كينيدي فبرغم أنه دعا إلى تجربة « كل طريق للسلام . . » ، فإنه قد حذر من الإسراف في الآمال والأوهام . . . إن خروشوف نفسه قال : إنه ليس هناك تعايش في المجال الأيديولوجي . . . إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سيظلّ لهما مفاهيمهما المختلفة تماماً عن العالم وحرته ومستقبله ، وطالما استمرت هذه الحلاقات الأساسية والمفاهيم ، فإن ثمة حدوداً لإمكانيات الاتفاق ،^(١) .

وهذا الذي ذكره الرئيس الأمريكي بصور بدقّة جوهر العلاقات بين القوتين وإمكانياتها الفعلية ، وهو الذي سيتحكم في مستقبل هذه العلاقات سواء في انتكاسها أو تقدّمها .

فهرس

صفحة

٣ تقديم
١٣ الفصل الأول : الحرب الباردة وأصولها
١٥ تمهيد
٢١ عهدا روزفلت وستالين
٣٨ إدارة ترومان
٥١ مرحلة جديدة في الحرب الباردة
٥٥ المطالب السوفيتية في تركيا وإيران وردود الفعل الأمريكية
٥٨ مبدأ ترومان
٦١ مشروع مارشال
٦٦ منظمة حلف شمال الأطلسي
٦٩ القنبلة الذرية
٧٣ الحرب الكورية
 الفصل الثاني : إدارة جديدة في كل من الولايات المتحدة
٩١ والاتحاد السوفيتي
٩٣ تمهيد

صفحة

١٠٦	التطور العسكرى للاتحاد السوفيتى
١١٣	الفصل الثالث : نحو ذوبان الجليد فى الحرب الباردة
١١٥	خطوات نحو التفاهم
١٢٢	أزمات الشرق الأوسط والمجر
١٣٦	أثر التحول فى ميزان القوى : إطلاق السبوتنيك
١٤١	زيارة خروشوف للولايات المتحدة : قمة كامب دافيد
١٤٦	مؤتمر قمة باريس المجهض : حادث الطائرة
١٥٧	أزمة الصواريخ الكوبية

١٩٨٣/٣٢٤٩	رقم الإيداع
الترقيم الدولي ٦ - ٠٥١٧ - ٠٢ - ٩٧٧ ISBN	

١/٨٢/٦١

طبع بمطبع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذا الكتاب

بانقضاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازية تبدأ
مرحلة جديدة من التنافس الكامن بين قوتين الصراع
في العالم . الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة
الأمريكية . وتعرف هذه الظاهرة بين الطرفين بالحرب
الباردة . والتي تمثل فيها التحدي الرئيسي للاستقرار
والسلام الدولي لجيل بأكمله ..

وتتطلب هذه المرحلة إعادة دراسة وتحليل .
حيث ترتبط بها كثير من الأحداث الأخيرة في شرق
العالم وغربه ..

لهذا جاءت هذه الدراسة أو (القراءة) لتلقى
الضوء على الحرب الباردة وأصولها . تم تفرق بين
إدارة كل من قوتين الصراع في العالم . وتنتهي برؤية
نافذة إلى مستقبل العالم القريب والبعيد ..